الفصل السادس

المسئولية بين فوائد تحملها

وخطورة التنصل منها

وفيه مقدمة الفصل ومبحثان.

المبحث الأول:فوائد تحمل المسئولية

المبحث الثاني:خطورة التنصل أو التهرب من المسئولية

وفيه تمهيد وستة مطالب.

المطلب الأول: التعريف

المطلب الثاني: أسباب التنصل من المسؤولية

المطلب الثالث:شماعات التنصل والهرب من تحمل المسئولية

المطلب الرابع:بعض مظاهر التنصل أو التخلي عن المسؤولية.

المطلب الخامس:آثار التنصل والتهرب

الفرع الأول:في الحياة الدنيا.الفرع الثاني:في الحياة الآخرة الفرع الثالث:في القوانين الوضعية

المطلب الأخير:العلاج ويتمثل في كيفية تنمية الشعور بالمسئولية المجتمعية وفيه فرعان:

ألفرع الأول:دور الأسرة والمدرسة في تعزيز الشعور بتحمل المسؤولية لدى التلاميذ.

الفرع الثاني:علو الهمة.

مقدمة الفصل

هنا بيت القصيد فما خربت البيوت، ولا بارت السلع، ولا رسب الراسب، ولا فشا الوباء ولا انحطت الأخلاق، ولا انتشرت الجريمة، ولا تخلفت الأمم. إلا عندما تخلى المسئول عن مسئوليته والكل مسئول!!!!! والعكس صحيح لأن الضد يظهر حسنه الضدد!

المبحث الأول

فوائد تحمل المسئولية

سأجمل وأوجز هذه الفوائد في عدة نقاط حتى يسهل الإلمام بها خاصة وأنها تعتبر ثمرة البحث المرجوة منه فمن أَلَمَّ بها يعتبر أَلَمَّ بنقاط البحث الرئيسية وفاز بالثمرة المرجوة منه بإذن الله:-

1) تشعر بوجوب أداء الأمانة أمام الله وأمام الناس.

2) الإخلاص في العمل والثبات عليه.

3) كسب ثقة الناس واعتزازهم.

4) يشعر الشّخص المسئول بالسعادة تغمره كلما قام بتنفيذ عمل نافع.

5) كل مسئول بقدر استطاعة تحمله ولا يخلو أحد من المسئولية مهما قلّت منزلته في المجتمع.

6) تجعل بنيان الدّولة قويا غير قابل للتصدع عند التعرض للمحن والحروب.

7) المسئوليّة تجعل للإنسان قيمة في مجتمعه.

8)من مقومات نهضة الأمم: مقومات نهضة الأمم والمجتمعات، ودعائم تشييد الأمجاد والحضارات، يكمن في العناية بقضية غاية في الأهمية، قضية تُعدُّ بداية طريق البناء الحضاري، ولبنة مسيرة الإصلاح الاجتماعي، والمتأمل في دنيا الناس اليوم وواقع الأمة المعاصر، يهوله ما تعيشه الغالبية الساحقة من شعوب العالم من حياة الفوضى واللامبالاة، وعلى الرغم من توفر كثير من الإمكانات، وتسيير كافة التسهيلات، مما تقذفه رحم المدنية المعاصرة من وسائل التقنيات، وما يفرزه الواقع اليومي من شتى المغالطات، وكثرة المتناقضات، مع نسيج المتغيرات والمستجدات. كلما أنبتَ الزمان قناة ركب المرء في القناة سنان، والمسلم الحق يتلمس دائماً طريق الإصلاح ليعيد للأمة شيئاً من عافيتها، بعد أن اشتدت عليها الأزمات وكثرت عليها

السهام والتحديات، وهنا يأتي بيت القصيد في قضيتنا المطروحة بحرارة كمخرج للأمة منفق التيه المظلم، لتنهض من كبواتها، وتحقق طموحاتها، إنها قضية المسئولية.إنَّ كل لحظة من لحظات حياة المسلم تتجسد فيها المسئولية بكل صورها، أفراداً ومجتمعات، هيئات ومؤسسات، شعوباً وحكومات. ولذلك، عندما بعث الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم للناس كافة برسالته السماوية الخاتمة (الإسلام) علمهم أولا معنى المسؤولية، ليستعد كل إنسان لتحملها، طبعا كل ودوره وموقعه وتأثيره، حتى لا يبقى إنسان بلا مسؤولية، أو لا يشعر بها.

لقد تعامل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بمنتهى الدقة في هذا الموضوع الاستراتيجي الحساس، لدرجة انه ذات مرة كان في رحلة مع مجموعة من أصحابه فلما أرادوا أن يطبخوا الغداء، قسموا المسؤوليات فيما بينهم، ولم يعطوا للرسول الكريم أية واحدة منها، فنهض الرسول صلى الله عليه وسلم وقال:وأنا عليَّ جمع الحطب.

احتج بعض الصحابة، كيف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحمل مسؤولية كأي واحد منهم، إلا أن الرسول الكريم رفض إن يبقى متفرجا عليهم وهم يتحملون المسؤولية من دونه، فهو أراد بذلك أن يعلم الإنسان الجديد معنى تحمل المسئولية

فليس في المجتمع الجديد من لا يتحمل مسؤولية مهما كانت، سلبا أو إيجابا.

إن ما يحدث في العالم هذه الأيام من صحوة عجيبة لبعض الدول ليثير في النفس الحسرة على أحوالنا فدولة مثل اليابان حرجت من الحرب العالمية الثانية1945م كومة رماد كذلك الحال ألمانيا وهما الآن من أكثر دول العالم حضارة ورقيا وتقدما، ونفس الحال النمور الآسيوية التي لم يكن احد ليسمع عنها أو حتى ليعلم القارة التي تقع فيها كوريا ماليزيان تايوان تايلاند وحدث عن الصين ولا حرج هل أتى هذا من فراغ؟ أم من تحمل المسئوليات على أكمل وجه؟!!

9) تحمل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع:قال الدّكتور عبد الكريم زيدان: ومن خصائص النظام الاجتماعي في الإسلام تحميل الفرد مسئولية إصلاح المجتمع، بمعنى أنّ كلّ فرد فيه مطالب بالعمل على إصلاح المجتمع وإزالة الفساد منه على قدر طاقته ووسعه، والتّعاون مع

غيره لتحقيق هذا المطلوب. قال تعالى: {وَتَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ}([1])

المبحث الثاني:
خطورة التنصل أو التهرب من المسئولية
وفيه تمهيد وستة مطالب.

تمهيد:

والآن انتقل إلى أس البلاء ومصدر الخراب وعنوان الدمار ما فشا في قوم إلا وحل عليهم الوباء وسقطوا من أعين الناس فضلا عن سقوطهم من أعين الله ألا وهو التنصل والتهرب من المسئولية لذلك سوف أتحدث في هذا المبحث بإسهاب بعض الشيء.

إن أسوأ ما زرعه فينا الاستعمار، هو ثقافة (اللامسئولية) بمعنى عدم استعدادنا لتحمل مسؤولية أي شيء في هذه الحياة، حتى ما نقوله ونفعله، غير مستعدين لتحمل مسؤوليته عند الحساب، فترانا مستعدين لتحميل الكل مسؤولية ما يحدث هنا أو هناك، إلا أنفسنا، فالماء مسئول، والكهرباء مسئول، والأرض والسماء مسئولتان، والشجر والتربة، والحيوانات، مسئولون، والجيران والأصدقاء والأقرباء والإخوان والوالدين والحكومة والوزير والرئيس، كلهم كلهم مسئولون، إلا أنا فلست مسئولا عن شيء.

لقد أصبح التهرب من المسؤولية ديدننا، والبحث في الحجج والأعذار شيمتنا، وسرد الأعذار والتبريرات فننا الذي لا يشق لنا فيه غبار.

وللأسف الشديد فلقد كبرنا ونحن نحمل هذه الثقافة، ثقافة رمي المسؤولية على كاهل الآخرين.

بينما في الحقيقة التي لا مراء فيها أنه علي كل فرد منا ذكراً كان أو أنثى عدة أدوار ومسئوليات تجاه ربه ودينه وتجاه نفسه وأسرته وتجاه وطنه ومجتمعه ينبغي أن يؤديها حسب مكانه ومكانته وقدراته.

---

[1]) المائدة:2.

openkanali.com

وبمقدار معرفة الفرد لعظم قدر المسئولية وفهمه لها، ثم حِرصه على تحقيق المصلحة والفائدة المرجوة منها، يجعل المجتمع من حوله مجتمعاً متعاوناً فعالاً تسوده مشاعر الانسجام والمودة بين أفراده.

ولقد اعتنى الإسلام بتربية أتباعه على تحمل المسئولية سواء كانت مسئولية فردية أو جماعية ووضع ضوابط تتمثل في الحقوق والواجبات يلتزم بها كافة أفراد المجتمع، مبينا في الوقت نفسه العواقب الوخيمة لإهمال المسئولية والتقصير أو الاعتداء على حقوق الآخرين.

وبهذا المنهج عاش أسلافنا وحققوا المعادلة الصعبة ما بين متطلبات الحياة ومراعاة أداء الحقوق والواجبات وتحمل كل مسئول مسئوليته وأداء المهام المنوطة به على أكمل وجه.

لكن لوحظ في الفترة الأخيرة في المجتمعات الإسلامية انتشار ثقافة اللامبالاة والأنانية والاستهتار والهروب من تحمل المسئولية مما ترتب عليه ضياع حقوق المواطنين نتيجة لإهمال الحكام المسئولين، وضياع حقوق الزوجة أو الزوج، وبالتالي الأولاد بينهما، نتيجة تخلي أحد أركان الأسرة عن مسئولياته، واهتزاز الأخلاق والقيم الإسلامية الاجتماعية التي هي الدعامة الأساسية التي يقوم عليها أي مجتمع ينشد الرقي والتقدم.

يتفق العلماء على أن السبب في ذلك بالدرجة الأولى هو غياب ثقافة تحمل المسئولية والتركيز عبر وسائل الإعلام المختلفة على النماذج السلبية، وتعمد إقصاء وإبعاد النماذج الإيجابية وخاصة النماذج التي بنت مسئوليتها على أساس ديني صحيح.

المطلب الأول

التعريف

- **التنصل:**

مصدر قولهم تنصل من الشيء تبرأ منه وهو مأخوذ من مادة (ن ص ل) التي تدل على بروز شيء من كن، أو ستر، أو مركب أو نحو ذلك، يقال: نصل الحافر أي خرج من موضعه، وتنصل من ذنبه: تبرأ منه «[1]»

[1]) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق:عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ. (ج5/ص 433).

operkamal.com

وقولهم: أنصلت الرمح، إذا نزعت نصله، وتنصلت الشيء واستنصلته إذا استخرجته «[1]»،

وفي الحديث «من تنصل إليه أخوه فلم يقبل...» أي من انتفي من ذنبه واعتذر إليه «[2]»،

وقال ابن منظور:النصل: حديدة السهم والرمح، وهو حديدة السيف ما لم يكن لها مقبض فإذا كان لها مقبض فهو سيف، يقال: أنصل السهم ونصله: أي جعل فيه النصل.

وقيل: أنصله: أزال عنه النصل، ونصّله: ركب فيه النصل، ونصل فيه السهم: ثبت فلم يخرج. وقيل: نصل: خرج، فهو من الأضداد، ويقال: نصلت اللسعة والحمة. تنصل: خرج سمها وزال أثرها، والتنصل شبه التبرء من جناية أو ذنب، وتنصل إليه من الجناية: خرج وتبرأ، واستنصلت الريح اليبيس إذا اقتلعته من أصله، وبر نصيل: نقي من الغلث «[3]».

- **التهرب:**

مصدر قولهم: تهرب من الشيء يتهرب إذا فر منه، وهو مأخوذ من مادة (هـ ر ب) التي تدل على الفرار«[4]»

قال في الصحاح: يقال: هرب من الشيء (فرّ) وهربه غيره تهريبا، وأهرب الرجل: إذا جد في الذهاب مذعورا، وقوله: ما له هارب ولا قارب أي صادر عن الماء ولا وارد«[5]»

وقال ابن منظور: يقال هرب يهرب هربا، يكون ذلك للإنسان وغيره من أنواع الحيوان، وقولهم: جاء مهربا أي جادّا في الأمر.

وجاء مهربا (أيضا) إذا أتاك هاربا فزعا، وأهرب الرجل: إذا أبعد في الأرض، وأهرب فلان فلانا إذا اضطرّه إلى الهرب «[6]».

---

[1]) الصَّحَّاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري(ت 393هـ) . تحقيق أحمد عبد الغفور عطَّار . دار العلم للملايين – بيروت،الطبعة الثانية 1399هـ/1979م . (ج5/ص1831).

[2]) النهاية لابن الأثير(ج5/ص67)، وقد نقلها عن أبي موسى المديني في المجموع المغيث (ج 3،ص 307).

[3])لسان العرب 5/ 4446 (ط. دار المعارف).مرجع سابق.

[4]) مقاييس اللغة لابن فارس(ج6/ص 49).مرجع سابق.

[5]) الصحاح(ج1/ص 237)مرجع سابق..

[6])لسان العرب (هرب) 4646.

وفيما يتعلق بلفظ «التهرب» فإنّه تفعل من الهرب، وتفيد هذه الصيغة معاني عديدة منها: الطّلب كاستفعل، ومنها المطاوعة «[1]» كانفعل، ومنها التدرج في الفعل كما في تجرع (أي أخذه جرعة بعد جرعة)، وغير ذلك «[2]»

والمناسب هنا المعنى الأخير أي أنّ التهرب هو الإتيان على الهرب وأخذه جزءا بعد جزء على تهاد ومهلة، ومن الممكن أيضا أن تفيد الصيغة معنى الطّلب فيكون التهرب: التماس الهروب من المسئولية.

- **التنصل والتهرب من المسئولية اصطلاحا:**

لم تذكر كتب المصطلحات التي وقفنا عليها هذين اللفظين ضمن ما أوردته من ألفاظ اصطلاحية، ومن ثم يكون معناهما في المجال الأخلاقي باقيا على أصل معناهما في اللغة، ويمكننا أن نستنبط هذا التعريف في ضوء ما ذكره أهل اللغة والتصريف فنقول: التنصل من المسئولية والتهرب منها يعني التبرؤ من الالتزام بما سبق للإنسان تحمله من مسئولية والخروج من عهدة ذلك شيئا فشيئا.

ويمكن أن نقول أيضا: إن ذلك يعني التخلص التدريجي مما سبق للشخص أن تعهد به والتماس عذر غير حقيقي للتبرؤ من تبعة التقصير في الأداء.([3])

المطلب الثاني

أسباب التنصل من المسؤولية

للتنصل من المسئولية عدة أساب منها:

1)ضعف الوازع الديني: فمن عمر الإيمان قلبه، وتمكنت مراقبة الله من نفسه، علم أنه غدا موقوف أمام الله تعالى وسيسأله عما كلفه من تكاليف، ولا نجاة له إلا بالقيام بالمسؤوليات الملقاة على عاتقه، وأداء الأمانات المؤتمن عليها، والوفاء بما يجب عليه من الواجبات، فيكون المعين الأول له خوفه من الله تعالى وسعيه في مرضاته.

---

[1])المطاوعة: أن تريد من الشيء أمرا ما فتبلغه (الممتع 1/ 183).

[2]) ذكر ابن جنّي في شرح الملوكي ص 75- 77 خمسة معان لهذه الصيغة: الثلاثة التي ذكرناها، ومعنى الاتخاذ كما في توسّدت السّاعد أي اتخذته وسادة، والسلب والإزالة كما في تحوّب أي أزال الحوب (الإثم)، وذكر لها ابن عصفور في الممتع(ج 1 ص 183- 185) ثمانية معان، الخمسة التي ذكرناها وأضاف إليها معاني: الختل، والتوقع، والتكثير.

[3]) نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم مجموعة من العلماء

2)ضعف الهمة: إن مسؤوليات يسيرة يعجز عنها كثير من الغلاظ الشداد، وما ذلك إلا لأن الهمم قد ماتت والعزائم قد خارت، فتجد الصغار وقد اجتازوا العقبات وحققوا النجاحات وتحملوا المسؤوليات، وغيرهم ممن أوتي أكثر مما أوتوا يقوى على أكثر مما تحملوا وقد خذله الكسل الذي استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم.

3)التربية الغير رشيدة: فتعليم الطفل منذ صغره تحمل ما يستطيع من المهام، والقيام بما يجب عليه من واجبات مدرسية أمر له بالغ الأثر في شخصيته، ومن الأخطاء الشائعة قيام بعض أولياء الأمور بحل الواجبات الدراسية لأبنائهم، مما يدفعهم للتسيب ويبعدهم عن الاستعداد لتحمل المسؤوليات في كبرهم.

4)الاتكالية: فكل واحد منا مسئول مسؤولية مباشرة عن كثير مما وقعت فيه الأمة في الحاضر من تخلف مادي وفكري، ولكنا نتكل على بعضنا في تغيير هذا الواقع، فالعامة يلقون بالمسؤولية على النخبة والعلماء، والعلماء يلقون باللائمة على الحكام،والحقيقة أن الكل له مسؤوليته التي يلزمه القيام بها.

5)الإحباط: الإحباط من أبرز أسباب القعود عن العمل وترك المهام والتقصير في المسؤوليات، وما جنى محبط غير الخسران والإخفاق، والتفاؤل هو روح الإنجاز، فالمسؤوليات لا يقوى عليها المحبطون لأن نظراتهم المتشائمة تمثل حجابا يمنعهم من الإقدام ويحجبهم عن التقدم وإنجاز ما هو من واجباتهم.

6)عدم وضوح الرؤية: فكثير من الناس لا يعرف المسؤوليات الموكلة له أصلا حتى يقوم بها، فمن الآباء من يظن أن مسؤوليته تجاه أولاده تنتهي بتوفير المأكل والمشرب والمسكن، وأن التوجيه والإرشاد ليس من مهمته ولا مسؤوليته، وكثير من المسلمين لا يعرف أن عليه مسؤولية تجاه أمته ودينه.

7)تعاظم المسؤوليات: نعم لقد صار الجميع يصارع في كل الأصعدة، وقديمًا قيل: إذا عظم المطلوب قل المساعد، لقد كان الناس في السابق لا يعانون كثيرا مما يعانيه أهل زماننا؛ فمثلا مسؤولية تربية الأبناء ومتابعتهم كانت في السابق أسهل بكثير منها في هذا الزمان الذي كثرت فيه وسائل الإفساد، ولكن هذا ليس مسوغًا لعدم القيام بما يجب القيام به من

المسؤوليات، وعلى المرء أن يبذل وسعه، وأن يؤدي ما يستطيع، وإذا أديت ما عليك فلا عليك، وبقدر البذل تحصل النتائج، وبقدر الاستعداد يكون الإمداد.

8)الغزو الفكري: الذي صور لكثير من شرائح المجتمع أن خروج المرأة ضرورة لا بد منها، وأنها لن تحصل على حقوقها وهي قابعة في بيتها، فتخلت بعض نساء المسلمين من أجل هذه الدعوى عن مسؤولياتها في البيت وخرجت لتتسلم مسؤولية غيرها.

9) كما زين هذا الغزو المسموم لكثير من النساء التخلي عن المسؤوليات الشرعية كالحجاب وغيره، واصفًا هذه التكاليف الشرعية بالتخلف والرجعية، وبالقدر نفسه حبب إلى الرجال والنساء على حد سواء الخلاعة والمجون، وهذا الغزو قامت عليه كثير من وسائل الإعلام ودعمته.

10) عدم وجود المحاسبة الجادة في كثير من المرافق والمؤسسات، فمن الناس من لا رقيب عليه من داخله ولا ضمير يؤنبه إذا تخلى عن مسؤولياته الموكلة له، فلا بد من وجود المحاسبة الخارجية من رؤسائه ومديريه، ومتى وجدت هذه المحاسبة اضطر المتسكع للقيام بمسؤولياته الوظيفية على أتم وجه وأكمله.

11) عدم تقدير من يقوم بمسؤولياته: إن المساواة بين الذين يعملون والذين لا يعملون ميزان مختل، قال الله تعالى: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا...}([1])وذلك من عوامل التقصير في أداء المهمة والقيام بالمسؤولية.

المطلب الثالث

شماعات التنصل والهرب من تحمل المسئولية

إننا في نظرنا نحن المسلمين الذين غاب عنا إحساسنا بشخصياتنا وقيمتنا وإنسانيتنا ودورنا المنتظر، نتفنن في الإلقاء بالمسؤولية على جهات شتى:

- **الأمر الأول الذي نعلق عليه أخطائنا القضاء والقدر**:

فإذا نظرنا إلى المصائب التي تنزل بالأمة، النكبات واحتلال البلاد، التدمير، المشاكل والتخلف، قلنا هذا بقضاء الله وقدره، وربما يذهب بعضنا إلى أن يستدل بالأحاديث الواردة في آخر الزمان وما ينزل بالمسلمين من الفتن وغربة الإسلام وما أشبه ذلك.

[1]) الجاثية:21.

لماذا لم يمنع القضاء والقدر الكفار من أن يتقدموا بعدما بذلوا الأسباب واستفرغوا الإمكانيات وساروا في طريقها؟!!!.

الإنسان هو الذي يصنع واقعه بنفسه، والقضاء والقدر غيب مكتوم لا يعلمه إلا الله عز وجل، فهو سر لا يعلمه الإنسان، المتخلف المتأخر المقصر ما علم أن هذا قدره حتى إنما فعل هذا بنفسه ثم بعدما وقع ما وقع أحتج بالقدر.

مثل ذلك تماما قضية الاحتجاج بالقضاء والقدر على المعايب وعلى المعاصي، فإنك إذا تأتي إنسان عاصي فاسق هو بنفسه يخطو خطوات إلى الرذيلة ويمد يده إلى الحرام، ويفتح فمه للقمة الحرام، ويلبس الحرام، ويركب الحرام، ومع ذلك إذا قلت له لماذا؟ قال: قضاء وقدر.

يا سبحان الله، قضاء وقدر! هذا شأن المشركين: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ}([1])

هكذا.{وَقَالُوا لَوْ شَاء الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}([2])

وقال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}([3])

أربعة مواضع في القرآن الكريم ذكر الله فيها أن الاحتجاج بالقضاء والقدر على المعايب والمعاصي إنما هو شأن الكفار والمشركين.

أما المؤمن فيعلم أن القضاء والقدر واقع، وأن كل شيئا بقضاء وقدر لكن يجعل المسؤولية مسئولية نفسه كما قال أبونا عليه الصلاة والسلام لما وقع في المعصية وأكل من الشجرة ما قال قضاء وقدر، بل قال هو وزجه: {قَالاَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ}([4])

---

[1]) الأنعام:148.

[2]) الزخرف:20.

[3]) يس:47.

[4]) الأعراف:23.

ويقول بعض أهل العلم أن من وقع في المعصية فأحتج بالقدر ففيه شبه من إبليس لأن إبليس لما رفض أحتج بالقضاء والقدر.

ومن وقع في المعصية فأستغفر وقال ربنا ظلمنا أنفسنا ففيه شبه من أبيه أدم ومن شابه أباه فما ظلم.

إذا ليس صحيحا أن يخطئ الإنسان فيحتج بالقضاء والقدر، أو يقعد عن العمل فيحتج بالقضاء والقدر، بل الواقع أن القدر غيب من غيب الله تعالى لا يعلمه إلا الله، والإنسان مطالبا بأن يعمل ما ينفعه في عاجل مره وآجله، في دنياه وأخرته على المستوى الفردي وعلى المستوى الجماعي.

- **الأمر الثاني الذي نعلق عليه أخطائنا التعلل بالشيطان:**

والشيطان مسلط على بني آدم لا شك، وقد نهانا الله عن أن نتخذه وليا وأمرنا أن نعاديه فقال:{إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ}([1])

لكن أيضا الشيطان لم يكن ليبلغ فينا ما بلغ لولا أنه وجد عندنا قابلية.

يعني جرثومة الفسق والانحلال والطاعة للشيطان كانت موجودة في نفوسنا، فلما نفث الشيطان وأرسل أشعته المفسدة المضلة وجدت عندنا قابلية وامتصاص في قلوبنا، فأفرزت وأثمرت انحرافا وانحلالا قال عز وجل: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ(99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ}([2])

إذا الشيطان لم يكن ليحقق فينا ما يريد لولا أنه وجد عندنا استجابة، ولذلك هو نفسه يوم القيامة يقوم خطيبا بأتباعه: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}([3])

---

[1]) فاطر:6.

[2]) النحل:99,100.

[3]) إبراهيم:22.

لاحظ الأمور يوم القيامة برحت وانكشفت وبانت، ولم يعد هناك مجال للتلاعب والتحايل، أصبحت القضية مكشوفة، وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي، فلا تلوموني ولوموا أنفسكم.إذا الذي يحتج بكيد الشيطان هو أصاب من جانب فإن الشيطان يكيد، لكنه غفل عن الجانب الآخر أن القابلية لهذا الكيد موجودة عنده.

تماما مثل الجراثيم التي تنتشر أحيانا في الهواء، فهذا إنسان قد أخذ طُعم ضد هذا المرض فلا يضره ولا يؤثر فيه، وذاك إنسان آخر جسمه ضعيف وهزيل أصلا فوجد فيه قابلية ففعلت الجراثيم فعلها فيه، فقد تكون مرضته أو ألقته صريعا ميتا.

- **الأمر الثالث الذي نعلق عليه أخطائنا وهو الظروف والأوضاع التاريخية الموروثة أو ما نسميه بالزمان:**

كثيرا ما نتكلم عن الزمن والحال وتغير الزمن وننسى أن الشمس التي تطلع علينا هي الشمس التي طلعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر.

وأن القمر الذي يطل علينا هو الذي كان يطل عليهم.

وأن الأرض التي نسكنها هي التي سكنوها، والسماء التي تظلنا هي التي أظلتهم.

فالأمور لم يتغير بها شيء والكون هو الكون والحياة هي الحياة والأجرام السماوية هي هي، والزمان هو هوَ والليل والنهار هما هما والأمر كما كان الأمام الشافعي رحمه الله يقول:

نعيب زماننا والعيب فينا.....وما لزماننا عيب سوانا

وقد نهجوا الزمان بغير جرم.....ولو نطق الزمان بنا هجانا

وليس الذئب يكل لحم ذئب..... ويأكل بعضنا بعضا عيانا

الزمان ليس له حقيقة إلا من خلال وجود إنسان يمر به الوقت فيستخدمه في طاعة أو في معصية في خير أو في شر، في صلاح أو في فساد، ولذلك نلاحظ أن الرسول نهى عن ذلك كما في الحديث القدسي ففي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله عز وجل:(يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار".([1])

[1]) متفق عليه وهو في مشكاة المصابيح برقم(22)

وليس المقصود أن الدهر اسم من أسماء الله تعالى، كلا وإنما بين صلى الله عليه وسلم ذلك بقوله في ما يرويه عن ربه أن الله تعالى قال:(بيدي الأمر أقلب الليل والنهار).([1])

يعني أن الدهر إنما هو مخلوق لله عز وجل يمر على الناس ويتقلب عليهم بإرادة الله تعالى.

والناس يفعلون في هذا الدهر ويملئونه بما شاءوا، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد شرا فلا يلومن إلا نفسه.

- **الأمر الرابع الذي نلقي عليه أخطاءنا هي قضية البيئة والمجتمع وانتشار الفساد فيها:**

وهذا كثيرا ما نتكلم عنه، فإذا واحد منا يفعل عادة سيئة كبيرة أو صغيرة، أفترض أنه يدخن مثلا فتقول له لماذا؟ فيقول عادات اتخذناه عن الوالدين عن الزملاء عن الجيران، عادات تلقيناه. فأصبح الواحد منا كأنه مجبور لا خيار له أمام هذه العادات.

وكأن الإنسان إذا ليس له شخصية ولا طاقة ولا اختيار، إنما هو إنسان يسمع ما يقول له المجتمع فينفذ وكأنه مرآة ينعكس عليها ما يقع في حال الناس، وهذا أيضا غير صحيح بل نحن شاركنا في صنع هذه العادات من جهة، ومن جهة أخرى استأثرنا لها وقبلناها.

يقول أحد الدعاة: كان هناك خطيبا يتكلم على المنابر، وفي يوم من الأيام تكلم عن قضية غلاء المهور، وكثيرا ما ينصح الناس ويؤكد عليهم ويلومهم ويسوق النصوص على ذلك.

كان عنده بنت فجاء من يخطبها فطلب منه مهرا كبيرا، فقال له: أنت أمس تتكلم عن الموضوع هذا، قال الخطيب: وهل تريد لابنتي أن تكون أقل من بنات الناس.

فقال الشاب:أين ما كنت تقوله لنا بالأمس؟

قال الخطيب: هذه عادات الناس هذا المجتمع إذا الناس غيروا أنا أغير.

قال الشاب: من يعلق الجرس؟

هنا أصبحنا نستأثر للعادات والعادات الاجتماعية والظروف القائمة وكأننا نعيش في جبرية لا مفر لنا منها.

---

[1]) صحيح سنن أبي داود برقم(5274)

obeikandi.com

وحتى في الأمور الأخرى على مستوى أوسع حين ننظر مثلا إلى قضية الاتجاهات العلمية.

فالأمة بحاجة إلى علماء، إلى أطباء إلى مهندسين إلى مخترعين ومبتكرين وإلى اقتصاديين يحملون هم الإسلام قبل ذلك وبعده.كثير من الناس لا يهتمون بهذه القضايا ولا يكترثون لها، لماذا ؟

إنهم استوحوا اتجاهاتهم من خلال نظرة المجتمع ومن خلال واقع الناس، وغفلوا عن الأمر الآخر.

حتى إنك قد تجد أحيانا متخصصا ناجحا في تخصصه، فيدع هذا التخصص ويتجه ليعمل عملا يمكن أن يقوم به غيره، بينما هو يحمل تخصصا نادرا لم يهتم له، لماذا ؟

لأن المجتمع لم يكترث به ولم يلتفت له.

- **الأمر الخامس الذي نعلق عليه أخطاءنا هو قضية الطبيعة والجبلة الموروثة والأخلاق المأخوذة عن الآباء والأجداد.**

فكثير من الناس يحتج بأن هذه طبيعة، أبي كان كذا وجدي كان كذا، وأنا أعترف أن هذا له رصيد من الواقع أحيانا وأقرب مثال قضية الوسواس.

الوسواس من أسبابه حيانا أسبابا وراثية، فتجد أنه قد يكون في الجد فينتقل إلى الأب ثم الابن بصورة أو بأخرى، هذا قد يحدث لكن ليس صحيحا أن الإنسان مجبور على ما هو مجبول عليه أو على ما ورثه من آبائه وأجداده، بل إن التهذيب وارد وممكن، ولذلك تجد الشرع أمر بأخلاق معينة ونهى عن أخلاق معينة، وتجد أن التربية يمكن أن تصوغ الإنسان صياغة جديدة وتغير مجرى حياته، وتبدل بعض الأخلاق الموجودة عنده وتجدد فيه أخلاقا أخرى حميدة.

فليس صحيحا أن الإنسان يقع أمام جبرية حتمية إلزامية لا مفر منها اتجاه ما كسبه من آبائه وأجداده أو اتجاه الطبائع الموروثة.إضافة إلى أن كل جبلة أو طبيعة فيها إيجابيات، نعم أنت قد تكون ورثت عيوبا من أبيك وجدك، تقول مثلا من طبيعتنا أننا فرضا عندنا جبن وخوف، هذا ورثناه ما نريد ولكن طبيعة.نعم لكن أيضا آبائك وأجدادك عندهم كرم وأريحية

وشهامة ومروءة، لماذا حاولت أن لا تقلدهم في هذه الخصال الحميدة؟ فبرزت عندك الخصال الذميمة، واختفت عندك الخصال الحميدة.

- **الأمر السادس الذي نعلق عليه أخطاءنا فهو قضية طبيعة الشعوب:**

أحد المستشرقين الخبثاء وأسمه المستشرق (جِب)، له دراسات عن المسلمين وعن الأمة الإسلامية، يحاول هذا الخبيث أن يوحي للمسلمين بأنهم يعيشون نوعا من التخلف العقلي الموروث.

فيقول: طبيعة الشعوب الإسلامية فيها ضعف، وعدم قدرة على التخطيط، ليس عندها بُعد نظر.([1])

وهذا أمر في غاية الخطورة لأنه يريد أن يلقي للمسلمين بإيحاء مؤداه أن لا تحاولون أنتم مخلوقون هكذا، وإلا فهذا الأمر منقوض علميا ومنقوض تاريخيا، فلو أتيت بمخ من يسمونه (أينشتاين) صاحب نظرية النسبة، ومخ أي إنسان من المسلمين أو من غير المسلمين قد لا تجد فيه فرقا كبيرا.

ولا تجد أن هناك شعوبا تتميز بذكاء عن غيرها من الشعوب، بل الأمر مشاع بين الخلق كلهم.

أما من الناحية التاريخية فالحضارة في يوم من الأيام كانت هنا، والتقدم العلمي كان هنا، والأسماء اللامعة في مجال الاختراع والطب وغيرها كانت من الأسماء الإسلامية، وقد قام المسلمون بدورهم ببناء وتشييد العلم والتقدم والحضارة بما هو معروف، ولا زالت أوربا تعيش على المناهج العلمية التجريبية الإسلامية.فنحن قدنا البشرية في يوم من الأيام، وملكنا أقاليم البلاد، وأذعنت لنا الدنيا، وأثبتنا الجدارة في هذا الأمر، وجربنا فنجحنا وذلك عندما قمنا بتحمل المسئولية على أكمل وجه.

[1]) ولد جيب في الإسكندرية في 1895/1/2، انتقل إلى اسكتلندا وهو في الخامسة من عمره للدراسة هناك ولكنه كان يمضي الصيف مع والدته في الإسكندرية. التحق بجامعة أدنبرة لدارسة اللغات السامية. عمل محاضراً في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عام 1921وتدرج في المناصب الأكاديمية حتى أصبح أستاذً للغة العربية عام 1937 وانتخب لشغل منصب كرسي اللغة العربية بجامعة أكسفورد. انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية ليعمل مديراً لمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة هارفارد بعد أن عمل أستاذاً للغة العربية في الجامعة.

إذا ليست القضية كما يزعم (جب) أو غيره من أعداء الإسلام. وإن كان هذا يعتبر من الغزو الفكري الذي سيطروا به علينا كثيرا من خلال وسائل الأعلام المسموعة والمقروءة.

- **الأمر السابع الذي نعلق عليه أخطاءنا هو أننا نلقي باللوم على العلماء:**

فإذا رأينا ما رأينا قلنا أهل العلم، أو فلان ابن فلان، وقد يستشهد بعضنا بالحديث الذي رواه أبو نعيم عن ابن عباس:(صنفان من أمتي إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس).([1])

تجد أننا نحمل المسؤولية العلماء، وكلما يحدث شيئا نقلنا فلان الله يهديه، وفلان ما قام بدوره، وفلان ما أدى واجبه، وأحيانا نعمم فنقول:إن العلماء لم يقوموا بدورهم ولم يؤدوا واجبهم.

ولست أنكر أن العلماء لهم دور أكثر من غيرهم، وهم رواد الأمة وقوادها وزعمائها الذين يجب أن تكون الأمة كلها ورائهم، لكن يجب أن نتفطن هنا أن إلى القضية الخطيرة والخطيرة جدا:

قضية دورنا نحن كأفراد، العالم لا يقوم بدوره إلا إذا كان ورائه أفراد كثيرون مثلنا، كما كان يقول الفارس العربي:

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم....نطقت ولكن الرماح أجرتي

يقول لو أن خلفي رجال شجعان، أقويا، صناديد لرأيتم كيف تكون بسالتي وشجاعتي ونكايتي في العدو، لكن خلفي أناسا أعرف أنهم أول من ينهزم في المعركة، وأول من يهرب ولذلك تأخرت الرماح فتأخرت أنا.

والمشكلة أن العالم أحيانا يكون كالقائد بلا جنود، كما ورد:(يا له مسعر حرب لو كان معه رجال).([2]) أنت لو رميت هذا الحَب مثلا في أرض تألفه، هل تنتظر أن يثمر؟ لا.

الحب قابل لأن ينبت شجرا ولكن بشروط أن يوضع في تربة، ويسقى الماء، ويُتعهد ويُحمى من المؤثرات حتى يثمر، فالعالم بحد ذاته يمكن أن يحدث حركة، نشاط، علم، أمر،

[1]) حديث موضوع الجامع للترمذي برقم(3495)

[2]) مشكاة المصابيح(4042) قالها النبي لأبي بصير رضي الله عنه والخبر في كتب السيرة.

نهي، تغيير ولكن بشرط توفر وسائل أخرى وإمكانيات أخرى، بشرط أن يكون ورائه أناس يعرفون قدره، يحفظونه.

أما أن ننتظر من العالم أن يؤدي دوره ونحن ممن يساهم في إسقاطه صباحا مساء، فهذا غير صحيح.

كثير منا—مع الأسف–أصبحنا من حيث نعي أو لا نعي نقلل من أهمية علمائنا، فإذا جلسنا قلنا مثلا: والله فلانا من العلماء له أرض كذا وله مؤسسة في كذا، وعنده كذا..وإذا كان ذلك كذلك! هل ما هو حلال على غيره أصبح حراما عليه هو؟

من حق العالم أن يستغني، وأن يطلب الدنيا والرزق مما أباح الله له، والرسول (صلى الله عليه وسلم) نفسه يأكل الطعام ويمشي في الأسواق، وكذا سائر الأنبياء والمرسلين.

وكفا بالعالم فخرا أن يستغني عن الحرام، ويذهب إلى الحلال المباح الذي أحله الله له، ومطلوب منا جميعا أن نساهم في تحريك اقتصاد الأمة الإسلامية بأن يكون لكل فرد من دور.

وأحيانا ما نجد للعالم شيئا، بل نجده زاهدا في الدنيا ما يمتلك من حطامها من شيء، وأعرف بعض أهل العلم يعيشون في بيوت من الطين لا يستطيع الواحد منا أن يجلس فيها ساعة أو ساعتين، ركلوا الدنيا بأقدامهم وجعلوها وراء ظهورهم.

ومع ذلك ما يسلم منا هذا العالم فتجدنا نجلس وما وجدنا عليه عيب فنذهب نبحث ونبحث فنقول أولاده غير صالحين، انظر أبنه فلان في كذا وأبنه فلان في كذا.

كذلك تجد طالب العلم مجرد ما يتعلم بابا من أبواب العلم حتى يقع في رجال ربما يكونوا قد حطوا رحالهم في الجنة منذ سنين وكأن كلنا نريد أن نحطم العالم.

الأمر السابع الذي نعلق عليه أخطاءنا فهو الحاكم:

وكما ورد في الحديث السابق حديث ابن عباس:(صنفان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء).

هذا الحديث كما سبق وقلنا إنه موضوع، رواه أبو نعيم في الحلية، ولكن يحتج به كل كسول لأنه يوافق هوى ورغبة في نفسه.

فالحديث برئنا من المسؤولية وجعلنا تُبع، فإذا صلح العالِم والحاكم صلحنا، وإذا فسدا فسدنا. إذا فالحديث لا يصح لا متنا ولا سندا.

فنحن نقول الحاكم والحكام ونحملهم المسئولية، ولا شك أن الحاكم له دوره، دور كبير ومن أهم أدوار الحكام اختيار المسئولين الأكفاء وتوليتهم الأعمال، الرجل المناسب في المكان المناسب، وهذه أهمية كبيرة حتى قال الرسول (صلى الله عليه وسلم) كما عند البخاري قال :(إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قالوا وما إضاعتها ؟ قال عليه الصلاة والسلام إذا أوكل الأمر إلى غير أهله فأنتظر الساعة).

فأعظم دور للحكام هو اختيار المسئولين الأكفاء ووضعهم في المكان المناسب أولا.

ثم محاسبتهم كما كان يفعل عمر رضي الله عنه فيرسل للناس :(إني لم أبعث عمالي إليكم ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن بعثتهم إليكم ليعلموكم دينكم، وليقسموا فيكم فيئكم)([1]). يقسموا بينكم الأموال ويعلمونكم الدين.

ومن الملاحظ أن هناك تناسقا ظاهرا بين وضع الحكام والمسئولين وبين وضع الناس، فيقول بعض أهل العلم وبعض المؤرخين:لما وليَ أبو بكر رضي الله عنه وكان رجلا متواضعا، خاشعا ذليلا لله تعالى كان يلبس أبسط الثياب ففعل الناس مثل فعله، فوفد عليه الملوك وأمراء القبائل وغيرها من اليمن ومن أنحاء الدنيا، وكانوا يلبسون التيجان والثياب الفاخرة، فلما رأوا أبو بكر رضي الله عنه خلعوا تيجانهم وثيابهم.حتى نقل أن ذا الكلاع وهو ملك من ملوك حمير لما رأى أبا بكر وتواضعه وزهده ولباسه خلع لباسه ولبس لباسا عاديا جدا، حتى إنه تواضع وتذلل وكان يوما يمشي في الشارع وعلى ظهره جلد شاه. فلما راءاه القوم قالوا: فضحتنا يا فلان، أنت سيدنا ورئيسنا بين المهاجرين والأنصار تحمل جلد شاة على ظهرك؟. فقال: والله لقد رأيت خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا أرى يسعني أن أسلك غير مسلك خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، مادام خليفة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يمشي في السوق، ويحمل بضاعته بنفسه ومتاعه بنفسه، فأنا مثله سواء بسواء.

[1]) أبو داود رقم (4537) 4/ 181.

ومثل ذلك الأشعث بن قيس وغيره من الكبار الذين كانوا تعودوا على الأبهة والفخامة والملابس الفاخرة والأموال والعبيد والخدم والحشم، فلما جاءوا وجدوا أبا بكر رضي الله عنه كذلك سلكوا نفس السيرة ونفس المسلك.

ولما جاء عثمان رضي الله عنه، وكان رجل فيه سماحة وجود وكرم وسخاء، والله تعالى فتح على المسلمين الأرض والأموال فكان يعطي الناس من الأموال ويوسع عليهم ويقسم عندهم، حتى يعطيهم اللحم في بيوتهم والأطعمة والملابس وغيرها.

وبالتالي نجد المجتمع كذلك فنجد الصحابة رضي الله عنهم يتوسعون توسعا مباحا بل محمودا في بعض الجوانب، فبنوا القصور، والدور، والمساكن وغيرها، كما فعل مثلا الزبير رضي الله عنه، وغيره مثل طلحة بن عبيد الله، سعد بن أبي وقاص.وهكذا حتى كثير منهم من خيرة أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) بل من العشرة المبشرين بالجنة، ولا حرج بل إن هذا مسلك حسن من بعض الوجوه كما قال الرسول (صلى الله عليه):(نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح).([1])

وكما قال (صلى الله عليه وسلم):(إن الله جميل يحب الجمال).([2])

وقال عليه الصلاة والسلام:(إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده).([3])

فهذا مسلك حسن من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وفي كل خير.

ومثال ثالث لما ولي على بن أبي طالب رضي الله عنه جاءه رجل فقال له:(يا أبا حسن أجتمع الناس على أبي بكر وتوحدت كلمتهم عليه، فلما وليت أنت أختلف الناس عليك وحصل ما حصل) فقال له علي رضي الله عنه: (أتدري لماذا ؟) قال: لا.

الرجل يريد أن يحمل المسؤولية من؟ يريد أن يحمل المسؤولية على بن أبي طالب، لكن علي كان فقيها في سنن الله تعالى ولذلك قال لهذا الرجل:(لأن أبا بكر رضي الله عنه كان يحكم مثلي، أما أنا فصرت أحكم مثلك).

وبالتالي فيه تناسب بين الراعي والرعية من وجوه عديدة.

---

[1]) البخاري في الأدب المفرد برقم(299)

[2]) صحيح الجامع للترمذي برقم1741)

[3]) صحيح الجامع للترمذي برقم(1712)

وهذا أمر مطرد، ولذلك يقولون في أمراء بني أمية لما تولى مثلا هشام بن عبد الملك وكان رجلا بخيلا ممسكا للمال وبالتالي الناس بخلوا لما تولى.

بل وصار هناك شح في الأموال وفي الإمكانيات وفي وظائف الجند، وفي غيرها، حتى قيل ما مر بالناس عهد وعصر كان أشد عليهم ولا أنكى من عهد هشام لأنه أمسك الأموال وقلت في عصره، فأمسك الناس ما في أيديهم تناسبا مع حاله ووضعه.

ولما تولى حاكم آخر قبله كعبد الملك كما هو معروف وكان يحب الشعر، ولذلك كثر الشعر في عصره ووجد الشعراء مثل جرير والفرزدق والأخطل.

وكان الرجل أيضا عنده إسراف في الدماء والقتل ولذلك سخر له من الأعوان من يكون على شاكلته في أكثر البلدان، ولعل من أشهرهم الحجاج بن يوسف، وكذلك أخوه محمد بن يوسف في اليمن وغيرهم من الأمراء الجورَه الذين كانوا يفتكون بالناس ويسفكون الدماء.

إذا فيه تناسب وهذا صحيح، لكن هل التناسب بسبب أن الحاكم من الرعية؟

أو بسبب تأثير الحاكم على الرعية؟

كلاهما موجود وكلاهما واقع، فالحاكم واحد من أفراد الناس يوما من الأيام، مثله مثل أي واحد منهم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن له تأثير أكبر من أي إنسان، وهذا لا يُعتقد أنه موضع خلاف.لكن ينبغي أن ندرك أنه حتى حين نتصور أن هناك حاكما أو سلطانا في أي بلد استبد بالناس وأفقد الناس قيمتهم، وجعلهم أصفارا، فإن هذا الأمر يرجع إليهم هم.

بمنظار الشارع يقول الله عز وجل مثلا في القرآن الكريم قاعدة يرسيها الله تبارك وتعالى: {وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ }([1])

نولي بعض الظالمين بعضا، أي نجعلهم أولياء، فمثلا يوم كان الناس أمثال قارون وهامان وأمثالهم سلط الله عليهم فرعون.ويوم كان الناس مثل عمر وعثمان وعلي والزبير وطلحة وسعد قيض الله لهم مثل أبي بكر رضي الله عنهم أجمعين.ولما فسد أمر الناس فسد أمر ولاتهم، فالأمر فيه تناسب{نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً..}ولذلك يقول بعضهم:إن الله قيض لعمر بن عبد العزيز لما ولي أمثال رجاء بن حيوة وغيره من الأتقياء العباد الزهاد الفقهاء، وكذلك قيض لعبد الملك بن مروان وأمثاله الحجاج بن يوسف وأمثاله من الفساق الضلال

[1]) الأنعام:129.

الظلام.وهكذا تأتي القضية{... نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا..} ويقول الله تعالى عن فرعون:{فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ }([1])

ما كان فرعون يستطيع أن يقف خطيبا في الناس ليقول:{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى }([2])

ويقول:{وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي..}([3])

ما كان يفعل ذلك لو أنه عرف أن أمامه أناس لا قيمة لهم، ولا يمكن أن يردوا عليه، ولا يقاموا بطشه وظلمه بأسه وعناده، بل هم يؤمنون على ما يقول خطأ كان أم صوابا، حقا كان أم باطلا، ولذلك أصبح يقول ما يقول دون أن يتوقع من أحد أن ينكر عليه أو يرد عليه ما قال.

فهناك هناك تناسب واضح وما يقع من هؤلاء فبسبب أن الناس فقدوا شعورهم بقيمتهم كأفراد، فقدوا شعورهم بمسئوليتهم فتسلط عليهم هؤلاء.

- **الأمر الثامن من الأشياء التي نعلق عليها أخطاءنا هو قضية الكيد الخارجي:**

وهذا أمر الكلام فيه يطول لكنني لا أري أن أطيل فيه، لأننا كثيرا ما نرتاح ونستأنس حينما نتكلم عن الكيد الخارجي لأننا أصبحنا أبرياء، لماذا ؟

لأن اليهود هم الذين فعلوا وخططوا، حكماء صهيون، الماسونية، الشيوعية، النصارى، المشركون، الكذا، الكذا.المهم أصبح أمامنا الآن ألوف مؤلفة من الأمم والأديان والنظريات والمذاهب والجمعيات السرية والمخططات، أصبحنا نلقي عليها كل أخطاءنا.

وهذا مهرب نفسي واضح، ولذلك تجد أن الناس يكثرون من الحديث عنه ويرتاحون لذلك أشد الراحة، حتى إنك تجد الأمة على مستواها العام تلقي بالمسؤولية على من ذكرت.

لكن حينما تنتقل إلى الخاصة من الأمة وهم الدعاة، إلى الله في كثير من البلاد تجدهم يلقون بالمسؤولية عن الأشياء التي وقعت لهم، فلا يقولون نحن المسئولون، بل يقولون المسئولون هم الحكام في تلك البلاد.مثلا حاكم بطش بالدعوة في بلد ما، واضطهد وعذب أذى وقتل وعلق على أعواد المشانق، وهذا حدث في بلاد عديدة.

---

[1]) الزخرف:54.

[2]) النازعات:24.

[3]) القصص:38.

قلما تجد داعية يقوم فيقول نحن المسئولون، ويحلل الموضوع ليخرج بنتيجة أن هناك أخطاء في الدعوة، في طريقة الدعوة، في سلوك الدعاة، في أساليبهم كانت أثمرت هذا الاضطهاد.

بل يكتفي بأن يقول هذا هو فعل الحاكم الذي اضطهد وأذى المؤمنين واعتدى عليهم، وانتهت القضية بأن الحاكم هو المسئول، وخرج الدعاة أبرياء من كل مسؤولية.

والأمة كذلك اليهود والنصارى هم الذين خططوا وفعلوا وأوصلوا الأمة إلى ما وصلت إليه، أما الأمة فبريئة وما فعلت شيء تعاب به.

وهنا نقول كما قلنا سابقا نرجع لمسئوليتنا نحن يقول الله عز وجل حينما ذكر كيد المشركين: {..... وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً...}([1])

لم يكن كيد الأعداء ليبلغ ما بلغ لولا كنا أهل صبر وتقوى: {..... وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً...}([2])

فالله سبحانه وتعالى يدافع عن الذين أمنوا ويحميهم ويحفظهم من كيد أعدائهم، وإنما الأمر كما قال أحد المفكرين الغربيين: إن الأسباب الحقيقة لكل انحطاط هي أسباب داخلية وليست خارجية.

داخلية وليست خارجية، ثم قال:(وليس علينا أن نلوم العواصف إذا أسقطت شجرة نخرة، لكن علينا أن نلوم الشجرة نفسها).

شجرة أصلا تتمايل آيلة للسقوط فجاءت عاصفة فأسقطتها ودفنتها، ليس المسئول عن ذلك العاصفة وإنما الشجرة أصلا كانت مهيأة لهذا الأمر.

- **وأخيرا** علينا أن نعلم أن المسؤولية عملية شاملة ومتكاملة تُسهم في تماسك بنيان المجتمع وتحقيق التوازن فيه، وتعمل على توظيف جميع طاقات ومقدّرات المجتمع بما يضمن مشاركة جميع أفراده وما يُشعرهم بقيمتهم وبمكانتهم الاجتماعية؛ فيحرص الجميع على المصلحة العامة طالما أنهم يبذلون ويقدمون لتحقيقها، وتَسرّهم رؤية نتائج جهودهم تقدماً وازدهاراً لأمتهم.

---

[1]) آل عمران:120.

[2]) آل عمران:120.

المطلب الرابع

بعض مظاهر التنصل أو التخلي عن المسؤولية.

بمجرد أن يظهر هذا الداء العضال، داء التنصل والتخلي عن المسئولية إلا وتظهر أعراض هذا الداء على المجتمع مباشرة على مختلف مستوياته البشرية والخدمية ويبدو المجتمع متهالك فوضوي متخلف رجعي تنتشر فيه الخلافات ويبدو عليه التخلف وتتمثل هذه المظاهر في:

- **التشرد:**

إن كثيرا من بلاد المسلمين تعاني مشكلة المتشردين، وهذه الظاهرة تتفاقم يومًا بعد يوم، بل صارت أمرًا ملحوظًا يلحظه المار على الطرقات، ولم تستطع دور الرعاية أن تحتوي هذه المشكلة وآثارها.

إن وراء كل مشرد –كما يؤكد الباحثون الاجتماعيون– قصةً غالبًا ما يكون بطلها أب مستهتر أو أم عاجزة أو غير مسئولة، وصدق شوقي رحمه الله:

ليس اليتيم من انتهى أبواه من..... هم الحياة وخلَّفاه ذليلا

إن اليتيم هو الذي تلقى له..... أُمًّا تخلت أو أبًا مشغولا

- **ارتفاع نسبة الطلاق:**

وهذا من مظاهر التقصير في تحمل المسؤولية، إن قيام وتأسيس أسرة يحتاج إلى قدر كبير من المسؤولية، ولما كانت هذه المسؤولية لا يتمتع بها كثير من شبابنا المقبلين على الزواج كانت نسبة الطلاق بين المتزوجين حديثًا مرتفعة؛ لأن الشاب لم يعود نفسه تحمل ما يجب عليه من أعباء، والتفكير الجاد في تخطي العقبات والصبر على المتاعب والمشاق، فعمد إلى رفع الحمل عن كاهله معلنا عجزه واستسلامه.

- **العزوف عن الزواج:**

فكثير من شبابنا لا ينقصه شيء مما يجب لتكوين أسرة، ولا يحول بينه وبين الزواج إلا أنه لا يريد لنفسه أن يلتزم بمسؤوليات ولا أن يقوم بأعمال تكلفه بعض الالتزامات، فكثرت العنوسة وتعاظمت مشاكلها.

- **الزواج العرفي:**

هذا النوع من الزواج الذي لا يقره شرع ولا يرضاه عرف هو عين التهرب من المسؤولية، فبدلا من أن يأتي أحدهم الأمرَ من بابه يذهب لهذه المداخل غير المأمونة هربا من تبعات الزواج ومسؤولياته.

- **المخدرات:** وهي من أبرز مظاهر التخلي عن المسؤولية، فكثيرون هم الذين يعتقدون أن أنجع وسيلة لحل المشاكل هي الهرب منها إلى عالم المجهول، لقد تفاقمت مشكلة المخدرات وكثر مدمنيها حتى بين المتزوجين، والسبب هو التخلي عن المسؤولية والهرب منها.
- انتشار البلطجة والقتل والهرج والمرج لأتفه الأسباب والسرقة والسلب وقطاع الطرق.

فهذه بعض مظاهر التخلي عن المسؤولية لا كلها وهي للأسف كثيرة وتزداد يوما بعد يوم.

المطلب الخامس

آثار التنصل والتهرب

وفيه ثلاثة أفرع

في المطلب السابق تناولنا في عجالة بعض المظاهر الناتجة عن التخلي عن المسئولية وفي هذا المطلب نغوص في أعماق الآثار التي نتجت على التخلي عن المسئولية وكأن المظاهر مجموعة أعراض المرض والآثار هي المرض نفسه.

الفرع الأول

في الحياة الدنيا

لما تخلت الغالبية العظمى منا عن دورها المنوطة به في الحياة وألقى كل منا بالمسئولية على الآخر ولم يتأسس جيل على تحمل الصعاب والشدة ولا مانع أن تكون مع رغد العيش وسعة الرزق، كان لأبي الأسود الدؤلي ابن يقال له: أبو حرب لزم منزل أبيه في البصرة لا ينتجع أرضا ولا يطلب رزقاً فعاتبه أبوه في ذلك فقال الابن: إن كان لي رزق فسيأتيني.

فقال أبو الأسود:

وما طلب المعيشة بالتمني ***ولكن ألق دلوك في الدلاء

تجيء بملئها طوراً وطوراً ***تجئ بحمأة وقليل ماء.([1])

وقد وعي أصحاب الرسول أهمية العمل وتحمل المسئولية فكانوا يتفانون في العمل ويوصي به بعضهم البعض فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمال أنفسهم فكان يكون لهم أرواح فقيل لهم: لو اغتسلتم.([2])

أي لهم روائح نتيجة عرقهم في العمل عليهم رضوان الله.

ولكننا للأسف لم نستطع أن نجمع بين هذه المعادلة الصعبة وهي تحمل المسئولة مع سعة الرزق فانقلب النشء إلى شباب تافه كل همه في الحياة البحث عن شهواته وملذاته والسعي وراء أهوائه ولا يستطيع أحد منهم أن يقوم حتى بإعداد وجبة طعام لنفسه وعلى الجانب الآخر هناك شباب ليس لهم راعي بعد الله وليس لهم دخل تكفل الكثير من الأطفال الكثير من الأغنياء وبعض الدول ولكن للأسف اعتمدوا على ذلك ولم يمتهنوا مهنة ولم يتعلموا ما يستطيعوا أن يعتمدوا به على أنفسهم فنتج جيل عاله على المجتمع سلبي تعود على الأخذ فقط ولم يتعود على العطاء أو حتى على الاعتماد على نفسه في تحمل أموره هو الشخصية فلا يستطيع أن يتخذ قرارا من نفسه أو ينفذ مشروعا وهكذا. ولكلن ليس الأمر بهذه الظلمة هناك الكثير والكثير من الرجال والشباب والنساء استطاع أن ينهض بالمسئولية على أكمل وجه وهم كثر ولكن الأمة تحتاج إلى كل عقل وكل ساعد فالنهضة تحتاج إلى همم وعزائم الرجال وإن كان ذلك من النساء.

وقد ضرب الله لنا العديد من الأمثلة من الأمم السابقة تخلت عن مسئولياتها وتركتها وأممهم في أمس الحاجة إليهم فترتب على ذلك الكثير من الآثار السلبية.

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسى إِذْ قالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنا مَلِكاً نُقاتِلْ فِي سَبِيلِ الله قالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ أَلَّا تُقاتِلُوا قالُوا وَما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ فِي سَبِيلِ الله وَقَدْ أُخْرِجْنا مِنْ دِيارِنا وَأَبْنائِنا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَالله عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ}([3])

---

[1]) عظمة الإسلام محمد عطية الإبراشي ج2 طبعة مكتبة الاسرة2005.

[2]) البخاري برقم(903)

[3]) البقرة:246.

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى {ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ} قال: هي مدينة الجبّارين لما نزل بها موسى وقومه بعث منهم اثني عشر رجلا وهم النّقباء الذين ذكرهم الله تعالى ليأتوهم بخبرهم، فساروا ولقيهم رجل من الجبّارين فجعلهم في كساءته، فحملهم حتّى أتى بهم المدينة ونادى في قومه فاجتمعوا إليه فقالوا: من أنتم؟ قالوا: نحن قوم موسى بعثنا لنأتيه بخبركم. فأعطوه حبّة من عنب تكفي الرّجل، وقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا لهم: اقدروا قدر فاكهتهم. فلمّا أتوهم قالوا:يا موسى فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ «فقال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا»، وكانا من أهل المدينة فأسلما واتّبعا موسى فقالا لموسى {ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ} «[1]».وهذا في تفسير قوله تعالى: {قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ* قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ الله عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ}([2])

وقال تعالى:{وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعالَوْا قاتِلُوا فِي سَبِيلِ الله أَوِ ادْفَعُوا قالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمانِ يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَالله أَعْلَمُ بِما يَكْتُمُونَ}([3])

عن مجاهد- رحمه الله- في قوله تعالى {لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ}([4]) المعنى: لو نعلم أنّكم تلقون حربا لجئناكم ولكن لا تلقون قتالا. قال القرطبي: وكان عبد الله بن أبي وأصحابه قد انصرفوا عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا ثلاثمائة فمشى في أثرهم عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري فقال لهم: اتقوا الله ولا تتركوا نبيكم وقاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا «[5]»ونحو هذا من القول. فقال له ابن أبيّ: ما أرى أن يكون قتال، ولو علمنا أن يكون قتال لكنا معكم. فلما يئس منهم عبد الله قال: اذهبوا أعداء الله فسيغني الله رسوله عنكم. ومضى مع النبي صلى الله عليه وسلم واستشهد رحمه الله تعالى. أما قول الله تعالى في نفس

---

[1]) تفسير القرطبي (18/ 28).

[2]) المائدة:22- 23.

[3]) آل عمران: 167.

[4]) آل عمران: 167.

[5]) ادفعوا: كثروا سواد المسلمين.

الآية {يَقُولُونَ بِأَفْواهِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ} فالمعنى أنّهم يقولون القول ولا يعتقدون صحّته لأنّ قولهم {لَوْ نَعْلَمُ قِتالًا لَاتَّبَعْناكُمْ} فإنّهم متحققون أنّ جندا من المشركين قد جاؤا من بلاد بعيدة يتحرّقون على المسلمين بسبب ما أصيب من أشرافهم يوم بدر«[1] ».

وقال:{قالُوا يا مُوسى إِنَّ فِيها قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَها حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْها فَإِنَّا داخِلُونَ (22) قالَ رَجُلانِ مِنَ الَّذِينَ يَخافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبابَ فَإِذا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غالِبُونَ وَعَلَى اللهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (23)قالُوا يا مُوسى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَها أَبَداً ما دامُوا فِيها فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقاتِلا إِنَّا هاهُنا قاعِدُونَ}([2])

وقال:{وَإِذا جاءَتْهُمْ آيَةٌ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتى مِثْلَ ما أُوتِيَ رُسُلُ اللهِ اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغارٌ عِنْدَ اللهِ وَعَذابٌ شَدِيدٌ بِما كانُوا يَمْكُرُونَ}([3])

وقال:{وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها قُلْ إِنَّ اللهَ لا يَأْمُرُ بِالْفَحْشاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ}([4])

عن السّدّيّ في قوله تعالى {وَإِذا فَعَلُوا فاحِشَةً قالُوا وَجَدْنا عَلَيْها آباءَنا وَاللهُ أَمَرَنا بِها}([5])

قال: كانت قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة فإذا قيل لهم لم تفعلون ذلك. قالوا وجدنا عليها آباءنا وأمرنا الله بها)«[6]».

.{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هذا غافِلِينَ (172) أَوْ تَقُولُوا إِنَّما أَشْرَكَ آباؤُنا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ }([7])

.{يُجادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ ما تَبَيَّنَ كَأَنَّما يُساقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ}([1])

---

[1])تفسير ابن كثير 1/ 425 (بتصرف يسير) والمراد من هذا الأثر أن المنافقين قد تنصلوا من مسئوليتهم في الدفاع من المدينة ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعذار واهية وأقوال مردودة.

[2]) المائدة: 22- 24.

[3]) الأنعام: 124.

[4]) الأعراف: 28.

[5]) (الأعراف/ 28)

[6]) الدر المنثور (3/ 143)

[7]) الأعراف: 172- 173.

.{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الناس وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِي ءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرى ما لا تَرَوْنَ إِنِّي أَخافُ اللهَ وَاللهُ شَدِيدُ الْعِقابِ}([2])

عن الحسن في قوله تعالى {وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطانُ أَعْمالَهُمْ وَقالَ لا غالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ الناس وَإِنِّي جارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَراءَتِ الْفِئَتانِ نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ وَقالَ إِنِّي بَرِي ءٌ مِنْكُمْ}([3])

قال: سار إبليس ببدر برايته وجنوده وألقى في قلوب المشركين أنّ أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم ولن تغلبوا كثرة. فلمّا التقوا نَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ، يقول: رجع مدبرا وقال إنّي بري ء منكم إنّي أرى ما لا ترون يعني الملائكة)«[4]».

.{يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ما لَكُمْ إِذا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَياةِ الدُّنْيا مِنَ الْآخِرَةِ فَما مَتاعُ الْحَياةِ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ}([5])

.{لَوْ كانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قاصِداً لَاتَّبَعُوكَ وَلكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَوِ اسْتَطَعْنا لَخَرَجْنا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ }([6])

ـ{وَلَوْ أَرادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلكِنْ كَرِهَ اللهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقاعِدِينَ}([7])

ـ{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكافِرِينَ}([8])

عن ابن عباس– رضي الله عنهما– في قوله تعالى {وَمِنْهُمْ مَنْ عاهَدَ اللهَ لَئِنْ آتانا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ}([9]): أنّ رجلا كان يقال له ثعلبة من الأنصار أتى

---

[1]) الأنفال:6.

[2]) الأنفال: 48.

[3]) الأنفال:48.

[4]) تفسير الطبري مجلد 6 (10/ 15).

[5]) التوبة: 38.

[6]) التوبة:42.

[7]) التوبة:46.

[8]) التوبة:49.

[9]) التوبة/ 75.

مجلسا فأشهدهم فقال: لئن آتاني الله من فضله آتيت كلّ ذي حق حقّه وتصدّقت منه وجعلت منه للقرابة، فابتلاه الله فآتاه من فضله فأخلف ما وعد فأغضب الله بما أخلفه ما وعده)«[1]».

.{فَلَمَّا آتاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ}([2])

-{فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجاهِدُوا بِأَمْوالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كانُوا يَفْقَهُونَ}([3])

... فقال كعب بن مالك- رضي الله عنه- فلمّا بلغني أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك حضرني بثّي «[4]»فطفقت أتذكر الكذب وأقول:بم أخرج من سخطه غدا؟ وأستعين على ذلك كلّ ذي رأي من أهلي، فلما قيل لي: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما«[5]»

زاح عني الباطل، حتى عرفت أنّي لن أنجو منه بشيء أبدا، فأجمعت صدقه «[6]»،

وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم قادما وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين، ثمّ جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه، ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا. فقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله ... الحديث)«[7]».

.{وَإِذا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللهِ وَجاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقالُوا ذَرْنا نَكُنْ مَعَ الْقاعِدِينَ}([8])

.{وَجاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ}([1])

---

[1]) الدر المنثور (3/ 468)

[2]) التوبة:76.

[3]) التوبة:81.

[4]) بثّي: البث هو أشد الحزن.

[5]) أظل قادما: أي أقبل ودنا قدومه كأنه ألقى عليّ ظله.

[6]) فأجمعت صدقه: عزمت عليه.

[7]) هذا الحديث جزء من حديث كعب بن مالك في غزوة تبوك، مسلم 4 (2769).

[8]) التوبة:86.

.{إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِياءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ وَطَبَعَ اللهُ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}([2])

ـ{وَجاؤُ أَباهُمْ عِشاءً يَبْكُونَ (16) قالُوا يا أَبانا إِنَّا ذَهَبْنا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنا يُوسُفَ عِنْدَ مَتاعِنا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَما أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنا وَلَوْ كُنَّا صادِقِينَ (17)وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ}([3])

عن مجاهد والسّدّيّ- رحمهما الله- في قوله تعالى {وَجاؤُ عَلى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}([4])أنّهم عمدوا إلى سخلة «[5]» فذبحوها ولطخوا ثوب يوسف بدمها موهمين أنّ هذا قميصه الذي أكله فيه الذئب وقد أصابه من دمه ولكنّهم نسوا أن يخرقوه ولهذا لم يرج «[6]»هذا الصنيع على نبي الله يعقوب)«[7]»

ـ{وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَما أُولئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ}([8])

ـ{وَقالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَماً آمِناً يُجْبى إِلَيْهِ ثَمَراتُ كُلِّ شَيْ ءٍ رِزْقاً مِنْ لَدُنَّا وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ}([9])

1) {وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً}([10])

قال الطّبريّ في تفسير هذه الآية فقوله {فَارْجِعُوا} أي إلى منازلكم، أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والفرار منه وترك رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

[1]) التوبة:90.

[2]) التوبة:93.

[3]) يوسف: 16- 18.

[4]) يوسف/ 16.

[5])السخلة: النعجة الصغيرة.

[6])لم يرج: أي لم يلق قبولا.

[7]) تفسير النيسابوري بهامش الطبري مجلد 6 (10/ 126).

[8]) النور:47.

[9]) القصص:57.

[10]) الأحزاب:13.

وقيل إنّ ذلك من قبل أوس بن قيظيّ ومن وافقه على رأيه. وقوله {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ} يقول تعالى ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله ولكنّه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم) «[1]».

وقال ابن جرير-رحمه الله-في الآية: قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون إن بيوتنا عورة هربا من القتل: من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا في أنفسكم من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو أراد عافية وسلامة. وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلا من قبلنا)«[2] ».

عن السدّي- رحمه الله- في قوله{وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنْهُمْ يا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا}([3])

قال إلى المدينة عن قتال أبي سفيان {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ} قال جاءه رجلان من الأنصار ومن بني حارثة أحدهما يدعى أبا عرابة بن أوس والآخر يدعى أوس بن قيظيّ فقالا: يا رسول الله {إِنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ} يعنون أنها ذليلة الحيطان وهي في أقصى المدينة ونحن نخاف السرق فائذن لنا. فقال الله تعالى: {وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِراراً}([4]).

عن زيد بن الأرقم- رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، أصاب الناس فيه شدة فقال عبد الله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ينفضوا من حوله) «[5]».

ـ{قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقائِلِينَ لِإِخْوانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا}([6])

---

[1]) تفسير الطبري مجلد 10 (21/ 86).

[2])تفسير الطبري (20/ 87).

[3])الأحزاب: 13.

[4] الدر المنثور (5/ 359).

[5]) مسلم(2772/4).

[6]) الأحزاب:18.

.{وَإِذا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ الله قالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشاءُ الله أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلالٍ مُبِينٍ}([1])

ـ{فَكَيْفَ إِذا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ (27)ذلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا ما أَسْخَطَ الله وَكَرِهُوا رِضْوانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمالَهُمْ}([2])

ـ{سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرابِ شَغَلَتْنا أَمْوالُنا وَأَهْلُونا فَاسْتَغْفِرْ لَنا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ ما لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كانَ الله بِما تَعْمَلُونَ خَبِيراً}([3])

ـ{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَالله يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ(11)لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ}([4])

ـ{هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لا تُنْفِقُوا عَلى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ الله حَتَّى يَنْفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزائِنُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلكِنَّ الْمُنافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ}([5])

وما ضاع الأقصى وتدنست المقداسات الإسلامية في فلسطين إلا عندما تخلى كل حكام المسلمين وليس العرب فقط عن مسئوليتهم تجاهها لأنها مسئولية مشتركة على الجميع كذلك حدث مع مصر وكادت تضيع سيناء من المسلمين بعد هزيمة 1967م من اليهود لولا توفيق الله وآخذ العرب المسئولية على إعتاقهم فكان النصر من عند الله.وهو نفس ما كان يحدث من المنافقين على عهد رسول الله.

عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنّ رجالا من المنافقين، في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا إذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم اعتذروا إليه

---

[1]) يس:47.

[2]) محمد:27- 28.

[3]) الفتح:11.

[4]) الحشر:11، 12.

[5]) المنافقون:7.

وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت: {لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِما أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِما لَمْ يَفْعَلُوا فَلا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفازَةٍ مِنَ الْعَذابِ)«[1]».

5-عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا «[2]» من نور، ثمّ عرضهم على آدم فقال: أي رب من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذرّيّتك، فرأى رجلا منهم وأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي ربّ من هذا؟فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود. فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة.

قال: أي رب زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أو لم تعطها ابنك داود؟ قال: فجحد «[3]»آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطيء آدم فخطئت ذريته» «[4]».

وإذا كانت نتيجة التنصل والتخاذل عن تحمل المسئولية شيوع الفوضى والتأخر عن ركب الحضارة وانتشار كل ما هو سيئ من الذل، والاحتياج في الدنيا فما نتيجة هذا التخاذل في الآخرة لأنه أي التنصل وترك المسئولية جريمة كبرى يكتوى الإنسان بنارها في الدنيا والآخرة.

الفرع الثاني

في الحياة الآخرة

الإنسان يسعى في الدنيا لنيل مرضات ربه بطاعة الله عز وجل طمعا في ثواب الله بدخول الجنة والبعد عن النار قال تعالى: {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ (166)وَقالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَما تَبَرَّؤُا مِنَّا كَذلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمالَهُمْ حَسَراتٍ عَلَيْهِمْ وَما هُمْ بِخارِجِينَ مِنَ النَّارِ}([5])

---

[1]) مسلم برقم (2777).

[2]) وبيصا: بريقا.

[3]) جحد: أنكر.

[4]) صحيح الجامع الصغير برقم(5208)

[5]) البقرة: 166- 167.

عن قتادة وعطاء والرّبيع- رحمهم الله- في قوله تعالى {إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبابُ}([1])

قالوا: المعنى أنّ السادة والرؤساء تبرءوا ممن اتبعهم على الكفر. وقال قتادة أيضا: هم الشّياطين المضلّون تبرّءوا من الإنس. وقيل هو عام في كل متبوع يتنصل من مسئوليّة إضلال تابعه)«[2]».

- {ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا وَاللهِ رَبِّنا ما كُنَّا مُشْرِكِينَ}([3])
- {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما أَشْرَكْنا وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذاقُوا بَأْسَنا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ}([4])
- {وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكاؤُكُمْ فَزَيَّلْنا بَيْنَهُمْ وَقالَ شُرَكاؤُهُمْ ما كُنْتُمْ إِيَّانا تَعْبُدُونَ}([5])
- {وَقالَ الشَّيْطانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ ما أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَما أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِما أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ}([6])
- {وَقالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شاءَ اللهُ ما عَبَدْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آباؤُنا وَلا حَرَّمْنا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ}([7])

---

[1]) البقرة/ 166.

[2]) تفسير القرطبي (2/ 183)، والدر المنثور (1/ 304)

[3]) الأنعام:23.

[4]) الأنعام:148.

[5]) يونس: 28.

[6]) إبراهيم:22.

[7]) النحل: 35.

- {حَتَّى إِذا جاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً فِيما تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّها كَلِمَةٌ هُوَ قائِلُها وَمِنْ وَرائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}([1])

- {وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَما يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبادِي هؤُلاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ (17) قالُوا سُبْحانَكَ ما كانَ يَنْبَغِي لَنا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِياءَ وَلكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآباءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكانُوا قَوْماً بُوراً}([2])

عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يصعد الثنية «[3]»ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل» قال:فكان أول من من صعدها خيلنا، خيل بني الخزرج. ثم تتام الناس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وكلكم مغفور له، إلا صاحب الجمل «[4]»الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «والله؛ لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم. قال: وكان رجل ينشد «[5]»

- {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلى يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)يا وَيْلَتى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلًا (28)لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جاءَنِي وَكانَ الشَّيْطانُ لِلْإِنْسانِ خَذُولًا}([6])

- {قالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنا هؤُلاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنا أَغْوَيْناهُمْ كَما غَوَيْنا تَبَرَّأْنا إِلَيْكَ ما كانُوا إِيَّانا يَعْبُدُونَ}([7])

- {وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْ

---

[1]) المؤمنون: 99- 100.

[2]) الفرقان: 17- 18.

[3])الثّنيّة: أصلها الطريق بين الجبلين، وهذه الثنية عند الحديبية.

[4]) إلا صاحب الجمل الأحمر: قيل هو الجد بن قيس المنافق.

[5]) ينشد ضالة: يسأل عنها. ضالة له) مسلم 4 (2780).

[6]) الفرقان: 27- 29.

[7]) القصص:63.

لا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (31)قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الْهُدى بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ}([1])

- {قالُوا سُبْحانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ}«[2]»

- {وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلْهُما تَحْتَ أَقْدامِنا لِيَكُونا مِنَ الْأَسْفَلِينَ}([3])

- {وَقالُوا لَوْ شاءَ الرَّحْمنُ ما عَبَدْناهُمْ ما لَهُمْ بِذلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ}([4])

- {بَلْ قالُوا إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُهْتَدُونَ (22)وَكَذلِكَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قالَ مُتْرَفُوها إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ}([5])

- {قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ}([6])

قال ابن عباس ومقاتل- رضي الله عنهم- في تفسير قوله تعالى{قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ}: قرينه الملك؛ وذلك أنّ الوليد بن المغيرة يقول للملك الذي كان يكتب سيئاته: ربّ إنّه أعجلني، فيقول الملك:{ربّنا ما أطغيته أي ما أعجلته}«[7]».

قال ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسير قوله تعالى {قالَ قَرِينُهُ رَبَّنا ما أَطْغَيْتُهُ وَلكِنْ كانَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ}([8]): أي يقول عن الإنسان الذي قد وافي القيامة كافرا يتبرأ منه شيطانه ربّنا ما أطغيته: أي ما أضللته)«[9]».

---

[1]) سبأ:31- 32.

[2]) (4) سبأ:41.

[3]) فصلت: 29.

[4]) الزخرف:20.

[5]) الزخرف:22- 23.

[6]) ق:27.

[7]) تفسير القرطبي (13/18)

[8])ق: 27.

[9]) تفسير ابن كثير (4/ 226).

- {كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِي ءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ}([1])عن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- في تفسير قوله تعالى {كَمَثَلِ {كَمَثَلِ الشَّيْطانِ إِذْ قالَ لِلْإِنْسانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قالَ إِنِّي بَرِي ءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخافُ اللهَ رَبَّ الْعالَمِينَ}([2]) قال: كانت امرأة ترعى الغنم وكان لها أربعة إخوة وكانت تأوي بالليل إلى صومعة راهب. قال: فنزل الراهب ففجر بها فحملت فأتاه الشيطان فقال اقتلها ثم ادفنها فإنّك رجل مصدّق يسمع قولك فقتلها ثم دفنها. قال: فأتى الشيطان إخوتها في المنام فقال لهم: إن الراهب صاحب الصومعة فجر بأختكم فلما أحبلها قتلها ثم دفنها في مكان كذا وكذا. فلما أصبحوا قال رجل منهم: والله لقد رأيت البارحة رؤيا ما أدري أقصها عليكم أم أترك. قالوا: بل قصّها علينا. قال: فقصها.

فقال الآخر:وأنا والله رأيت ذلك. فقال الآخر: وأنا والله رأيت ذلك؛ قالوا: فو الله ما هذا إلا لشيء.

قال: فانطلقوا فاستعدوا ملكهم على ذلك الراهب فأتوه فأنزلوه ثم انطلقوا به، فلقيه الشّيطان فقال: إنّي الذي أوقعتك في هذا ولن ينجيك منه غيري فاسجد لي سجدة واحدة وأنجيك ممّا أوقعتك فيه. قال:فسجد له فلمّا أتوا به ملكهم تبرّأ منه وأخذ فقتل)«[3] ».

وقال ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسيرها ضرب الله هذا مثلا للمنافقين مع اليهود. وذلك أنّ الله أمر نبيه عليه السلام أن يجلي بني النضير من المدينة فدس إليهم المنافقون ألا تخرجوا من دياركم فإن قاتلوكم كنا معكم، وإن أخرجوكم كنا معكم، فحاربوا النبي صلى الله عليه وسلم فخذلهم المنافقون وتبرّؤوا منهم كما تبرأ الشيطان من برصيص العابد»)«[4] ».

[1]) الحشر:16.

[2]) الحشر/ 16.

[3]) تفسير ابن كثير (4/ 341).

[4]) تفسير القرطبي (18/ 28).

الفرع الثالث

في القوانين الوضعية

تقتصر العقوبة في القوانين الوضعية على العقوبة الجسدية أحيانا مثل الضرب والحبس والحرمان من الطعام أي انه عقاب جسدي محض ربما ينتهي آثره بانتهاء الألم، وربما يكون العقاب رادع وكثيرا ما يردع هذا العقاب، وأحيانا يزيد المجرد إجراما وانفلاتا من هول وما يراه من عقاب. تتنوع العقوبات في القوانين الوضعية بحسب نوع التخلي عن المسئولية الموكلة إليه فمن أهمل في حيازة أمانه لها عقوبتاها الخاصة ومن أهمل في مسئولية حراسة لها عقوبتها الخاصة وبها، ومن أهمل في قيادة سيارته واحدث بها ضررا خاصا له عقوبته الخاصة به أي أن العقوبة في القوانين الوضعية حسب نوع الإهمال في المسئولية.

لذلك لاترضع القوانين الوضعية الكثير من أصحاب المسئوليات عن التخلي عنها ولو كان التخلي جزئيا فما بالنا إذا كانت القوانين في الأساس لا تفعل ولا تطبق وهنا تنطبق عليها المقولة الشهيرة((من أمن العقوبة أساء الدب))

نلاحظ هنا أن الدافع إلى تحمل المسئولية وعدم التخلي عنها والتنصل منها هو الخوف من العقاب.

أما في الإسلام فالدافع إلى تحمل المسئولية بكل أنواعها وعدم التخلي عنها هو إرضاء رب العباد!!!

وخلاصة الأمر في مضار (التنصل والتهرب من المسئولية)

1) انتشار الفساد في المجتمع.
2) يحمل صاحبه على الكذب التملق والخداع.
3) احتقار الناس،فالمتنصل من المسئوليّة يستصغره الناس ويحتقرونه.
4) داء التنصل من المسئوليّة من الأمراض الاجتماعيّة الخطيرة التي تفقد الناس الثقة فيما بينهم.
5) التنصل من المسئوليّة والتهرب منها ينجم عنه الفوضى والإخلال بالالتزامات الأدبيّة والمادية وضياع الحقوق.

6) التنصل من المسئولية يؤدي إلى تعطيل الأعمال وتأخير مواعيدها لأنّ البحث عن بديل للمتنصل لا يتيسر دائما أو في الوقت المناسب.

7) التهرب من المسئوليّة أو التنصل منها يتنافي مع حمل الأمانة التي شرّف الله بها الإنسان.

8) المتنصل من المسئوليّة مبغض عند الله وعند الناس.

9) التنصل من المسئولية مخالف لصفات الرجولة ومخل بالمروءة.

10) المتنصل يستحق عذاب الله ومقته.

من يصلح الوضع إن لم نحن نصلحه *** وكيف من جهلها الأجيال تنتشل

متى وكيف ومن يصحوا لينقذنا *** عن سر إنقاذنا قد طال ما سأل

الكل يسأل إن ضاعت محارمنا *** وواجب الكل إن ضاقت بنا الحيل

فابن المبارك أوفي عهد ذمته *** إذ الفضيل بركن البيت يبتهل

لا بارك الله بالأوراد أقدمها *** إن داهمت أمة أهوال والعلل

المطلب الأخير

العلاج ويتمثل في كيفية تنمية الشعور بالمسئولية المجتمعية

وفيه فرعان:

بعد أن عرضنا مشكلة التنصل من المسئولية وتبين لنا مدى خطورتها على الفرد والمجتمع وعرفنا من خلالها بيت الداء فكان لابد من وجود حلول معينة نصف من خلالها الدواء وهذه الحلول تتمثل في تنمية الشعور بالمسئولية فنحن نشكو في مجتمعنا من ضعف الشعور بالمسئولية ونشكو من أننا نريد من المسئولين أن يكونوا مسئولين عن كل شيء ونريد من الحكام أن يعقدوا الأحكام لكل أمر، فكثيرا ما نرى التلميذ يريد من معلمه أن يشرح له المدرس دون أن يبذل جهدا في مذاكرته بل على المدرس أن يرضعه المعلومة كما ترضعه أمه لبنها والرضاعة من لبن الأم تستمر رضاعة من فم المدرس، ثم تستمر رضاعة من فم المحاضر بالجامعة، ثم يخرج المتعلم يطلب الرضاعة من الحكومة في كل أمر. فعلى الحكومة أن تحارب المرض وعليها أن تنشئ المدارس، وعليها أن تعلم، وعليها أن توجد الرزق وتخلق العمل، وعليها أن تفعل كل شيء أما المواطن فليس عليه شيء.! حياة أغلبها حقوق وأقلها

واجبات، أغلبها مطالب وأقلها مسئوليات. وهذا بالطبع لاينطبق على جميع الناس. ومادام لا ينطبق على جميع الناس فهناك أمل في إصلاح، والإصلاح يأتي عن طريق التربية، فالتربية تشكل الشخص تشكيلا يجعله يشعر بالمسئولية ويندفع نحو تحقيق غايتها.ومن هذا نرى أن تربية الشعور بالمسئولية أمرا على جانب كبير من الأهمية في بناء الأفراد والمجتمعات. والشعور المسئولية ليس لفظا مجردا فله ميادين: فهناك شعور بالمسئولية نحو المجتمع، ونحو الأسرة، ونحو نفسه. وهناك الشعور بالمسئولية نحو مهنة، ونحو طائفة، ونحو فكرة واشعر كذلك أن الشعور بالمسئولية هدفه عملي. والشعور بالمسئولية أوله عمل وسبيله عمل وهدفه عمل، فلا يتم إنماء الشعور بالمسئولية إلا عن طريق الممارسة والإشعار الفعلي بالمسئولية. وأهم مبدأ نقرره هنا هو خطورة تركيز المسئولية في جهة واحدة فعلى سبيل المثال إذا ركز الوالد كل مسئوليات أسرته في يديه حرم الزوجة والأبناء من ممارسة المسئولية.وأعني بها هنا اللامركزية. فالتربية على تحمل المسئولية من دعامات الاستقلال، فتكوين شعب مستقل يستلزم أفرادا مستقلين، وبالطبع المسئولية نفسها تكون بمقدار فإن زادت عن حدها أو بكرت عن موعدها كانت ضررا وإن قلت كذلك كانت ضررا.

إن أكثر داعم لتنمية الشعور لدى الطفل بالمسئولية أو لغرس تحمل المسئولية لدى الطفل بطريقة صحيحة وفعالة الأسرة أولا ثم المدرسة ثانيا، إن كانت تليهما وسائل الإعلام وعلى رأسها التليفزيون. في الحقيقة أجدني كررت ذكرهما أي الأسرة والمدرسة لألفت دائما النظر إلى دورهما الفاعل بل والأساسي في جميع المجتمعات، والثقافات، والأزمان، والأماكن، ويتوقف تأثير دور كل من الأسرة والمدرسة على الطفل وتنشئته بمدى ما يكون من تناغم وانسجام، وتفاهم لكلا الدورين دور الأسرة، ودور المدرسة لذلك ظهرت الحاجة إلى ضرورة انتقاء ما يقدم للطفل من وسائط ثقافية متعددة سواء في المنزل أو المدرسة لتلائم ليس فقط قيم، وأخلاق، وأفكار، ومعتقدات المجتمع الذي يعيش فيه الطفل؛ ولكن أيضاً حاجات نمو الطفل في هذه المرحلة الدقيقة من العمر. فالأمل معقود بعد الله على الأسرة ومؤسساتنا التعليمية، والإعلامية في دعم وتنمية القيم كأساس لتوليد الأفكار وتنمية المجتمع؛ لمواجهة هذه التحديات التي تواجهنا صباح مساء إضافة إلى أننا أمام تحديات تحوَّل العالم فيها من مجتمع صناعي إلى مجتمع معلوماتي مما جعل المهمة لا تحتمل مزيداً من التأخير فالمسؤولية

مشتركة لرسم البرامج التطويرية؛ لتنمية القيم لدى المواطن فهي عملية تربوية تعليمية تعلُّمية لا تخلُو منها مناهجنا التعليمية.

ألفرع الأول

دور الأسرة والمدرسة في تعزيز الشعور بتحمل المسؤولية لدى التلاميذ:

(أ) دور الأسرة :

في إطار تنمية الشعور بالمسئولية يأتي دور البيت والأسرة في حمل مسئولية التربية الإسلامية الصحيحة للأجيال المسلمة. لقد اهتم الإسلام بالأسرة اهتماماً بالغاً، وحرص على استقرارها واستمرارها، فالأسرة هي أساس بناء المجتمع وتماسكه؛ لذا تعددت التوجيهات الإسلامية التي ترسم خطوط بناء الأسرة، وتُحدد مسؤوليات أفرادها. خاصة وقد قرر الإسلام مكانة عظيمة للأسرة، ويتجلى ذلك في اهتمام الشريعة الإسلامية بشئون الأسرة سواء في كتاب الله أو في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. واستطاعت الأجيال المتعاقبة أن ترسخ معاني إسلامية عميقة في الأسرة في مجتمعاتنا، فأعطى الله للرجل رئاسة الأسرة وحمله مسؤولية القيام على شؤونها بتأمين حاجاتها من مأكل ومشرب وملبس إلى غير ذلك مما تحتاجه. كما حمله مسؤولية حُسن تأديب أولاده وتعليمهم الدين والخير وما لا يستغنى عنه من الآداب دون تمييز بين ذكر وأنثى.وعدم قيام الرجل بمسؤولياته نحو أسرته أو تقصيره فيها يتوجب مسائلته عنها ثم محاسبته عليها في الدنيا والآخرة.

إن مسئولية تربية الأجيال، وإعداد النساء والرجال مسئولية عظمى، وإن قضية العناية بفلذات الأكباد، وثمرات الفؤاد من النشأ والأولاد قضية كبرى يجب على أهل الإسلام أن يولوها كل اهتمامهم؛ لأن مقومات سعادتهم أفراداً ومجتمعات منوطة بها.

وإنما أولادنا أكبادنا .....فلذاتنا تمشي على الأرض

ولذلك لا بد من الإعداد لها أيما إعداد، رسماً للمناهج، وإعداداً للبرامج، وتضافراً في الجهود، وتولية للأكفاء، لتتم المسئولية التربوية سليمة من تعثر الخطى، بعيدة عن التناقض والازدواجية، محاذرة للتقليد والتبعية، اعتزازاً بشخصيتنا الإسلامية، وشموخاً في مناهجنا الشرعية، مترسمين هدي القرآن الكريم ونهج السنة النبوية.إنَّ البيت هو الركيزة الكبرى، وعليه

المسئولية العظمى في بناء الفرد، وتقع على كاهله تحديد شخصيات الأبناء، وتكوين ملامحهم الإيمانية، والفكرية، والروحية، والأخلاقية.

إن من أعظم أولويات المسئولية تربية الأولاد منذ نعومة أظفارهم على الإيمان بالله، وجعلهم يستشعرون الأبعاد الحقيقة لكلمة التوحيد، بحيث يكون إيمانهم نابعاً من يقين ومعايشة، وإدراك لحقيقة الربوبية والإلوهية، وفهم واضح لمعنى العبودية.

والبيت لا يبتنى إلا له عُمد ولا عماد إذا لم ترس أوتاد فعلى الأسرة أن تجتهد في تصحيح سلوكيات أبنائها، وغرس المثل الإسلامية في نفوسهم، وتأصيل الأخلاق الحميدة التي جاء بها ديننا الحنيف، وليكن الأبوان قدوة حسنة لأبنائهم، فلا يكون هناك تناقض بين ما يمارسونه من سلوك عملي، وبين ما ينصحون به أبناءهم في ظلام وكلام نظري.

وينشأ ناشئ الفتيان فينا.....على ما كان عوده أبوه

وإنها لمسئولية عظيمة أن يبني الأبوان شخصية أبنائهم على أساس العقيدة الصحيحة والاعتزاز بمبادئهم وتراث أمتهم، محاطين بالإيمان والهدى والخير والفضيلة، أقوياء في مواجهة المؤثرات المحيطة بهم، لا ينهزمون أمام الباطل، ولا يضعفون أمام التيارات الفكرية الزائفة.

إن المسئولية توجب على الآباء والأمهات أن يكونوا قدوة لأبنائهم في الخير، وأن لا يكلوا عملية تربيتهم للخادمين والخادمات، فهم ضرر على الأسرة لما يحملونه في الغالب من أفكار وأخلاق وعادات ثبت في الواقع خطرها، وثبت لدى كل غيور شرها وضررها، وتحتم المسئولية على الآباء إبعاد الأبناء عن قرناء السوء، ومتابعتهم في صلواتهم، وخلواتهم، وجلواتهم، وأن يكونوا تحت الرقابة المكثفة المقرونة بمشاعل المحبة والحنان والشفقة.

وأن يكون الآباء على حذار من أن تتسلل إلى أسرهم ألوان من الغزو الفكري والأخلاقي، فتهدم ما يبنوه، وتنقض ما يشيدوه، إن المسئولية توجب على الآباء نشِّئت الأولاد على الخير والفضيلة والهدى، والبعد عن الرذيلة والشر والردى.

الاعتماد على النفس، وزرع الثقة بالنفس من الجوانب المهمة في التربية الأسرية التي يقوم بها الوالدان ويطوران هذا الاستعداد ويدعمانه ويجعلانه يكبر كبر الأبناء أما إذا أهمل فقد يعتمد على غيره، ويكون متكلاً على الآخرين ويسبب هذا نقصاً في الشخصية ونموها. ومن أهم الممارسات التربوية الأسرية التي تزيد من ثقة الأبناء بأنفسهم وتشعرهم بتحمل المسؤولية:

1-تنمية القيم الاجتماعية لدى الأبناء:

يقول ابن خلدون: (الإنسان مدني بطبعه).

ويقول المصطفي صلى الله عليه وسلم:" المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ".([1])

ومن فطرة الإنسان أنه لا يستطيع أن يعيش بمفرده بل يحتاج الناس والناس يحتاجون إليه، وكلما أنشئ الطفل في بيئة اجتماعية فعالة كلما كان أقدر على التكيف الاجتماعي، وعلى بناء علاقات اجتماعية ناجحة فأكثر الذين يعانون من إخفاق في حياتهم الاجتماعية كانوا يعانون من عزلة وانطوائية في بداية حياتهم .

2- مجالس الرجال: يكتسب الأطفال من خلال مصاحبتهم لمجالس الرجال قيماً اجتماعية عظمى من أهمها الثقة بالنفس؛ لأنهم يستمعون لأحاديث جادة واهتمامات عالية ، وتفكير واعٍ، ونقاشات بناءة مما يشعرهم بالجو الذي هم فيه ويوجه تفكيرهم لمعالي الأمور ، وينظرون لأنفسهم نظرة رجولية ، ويحسون بنضج تفكيرهم وتصورهم للأمور وهموم الكبار وقضايا الرجال فيزيد شعورهم بتحمل المسؤولية ولهذا حرص الصحابة – رضوان الله عليهم – على حضور أبنائهم مجالس الرجال عامة ومجالس النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فهذا عبد الله بن عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – رغم صغر سنه يحضر مجالس النبي – صلى الله عليه وسلم – وفيها كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويفيد هذا الحضور احترام الآخرين، آداب الإصغاء، آداب السؤال، آداب الحديث.

3- مجلس شورى العائلة: ما أجمل أن يجلس الوالدان مع الأبناء ليتخذوا القرارات المناسبة المتعلقة بالأسرة سوياً، وهذا مظهر تربوي يدل على التفاهم ، والانسجام؛ مما يتيح للأبناء التعبير عن ذاتهم والمشاركة في اتخاذ القرار وبالتالي يشعر الأبناء بتحمل المسؤولية ولا شك أن الأبناء الذين كانوا يشاركون آباءهم في تسيير أمورهم كانوا الأقدر على الاستقلال بأنفسهم في المستقبل، وكانوا أكثر إبداعاً في إدارة شؤونهم.

[1]) صحيح الجامع الصغير للترمذي برقم(6651)

(ب) دور المدرسة:

للمدرسة الدور الفاعل والمهم في تعزيز الشعور بتحمل المسؤولية وأقصد بالمدرسة: (المنهاج – المعلم الأنشطة الصفية – واللاصفية – البيئة التعليمية – المنهج الخفي)

1) **المناهج:** ينبغي أن يظهر تعزيز الشعور بتحمل المسؤولية وغرس روح الاحترام وصولاً لغرس الثقة في نفس التلميذ من خلال مفردات المنهاج فتظهر لغة الخطاب الموجهة للتلميذ، وتظهر في الأنشطة المتعلقة في كل وحدة ومادة سواء الأنشطة الصفية أو البيتية في الأسئلة التي تطرحها المادة في النصوص التي تحتوي عليها المادة .

إن تحمل المسؤولية مهارة إضافة لكونها قيمة سلوكية إنسانية من الممكن بل يجب تدريسها ودمجها في المنهاج المدرسي بعناية مقصودة بذاتها منذ وقت مبكر متتابع، وتراعى خطوة خطوة، ويوماً بعد يوم. وأعظم ما يرجوه جُل المعلمين أن يكون لديهم صف يتسم بالنظام والسلاسة في الأداء وذلك لن يتحقق بالعملية الأكاديمية أو التنظيمية فقط بل بتنمية الشعور بالمسؤولية لدى التلاميذ لتحقيق النظام أو النمو العقلي فالنجاح بتحقيق النظام يحقق نجاح العملية التعليمية مما يوجب إشراك جميع التلاميذ في مسؤولية إدارة الصف التعليمية والتنظيمية.

2) **اللغة المهنية السائدة في المدرسة:** فاللغة المهنية الإيجابية بين الإدارة والمعلمين، وبين المعلمين أنفسهم، وبين الإدارة والتلاميذ، وبين المعلمين والتلاميذ لها دور في بناء شخصية التلميذ ومن الأسباب التي تضعف شخصية التلميذ استخدام لغة غير مهنية مسموعة من معلميه قد يفضي إلى شعور سلبي لديهم.

3) **الأمثلة العلمية:** كثيراً ما يستخدم المعلمون أمثلة علمية وتكون هذه الأمثلة بعيدة عن الروح الإيجابية خاصة فيما يتعلق بالعلوم الإنسانية واللغة العربية بشكل خاص فلا نجد أمثلة إيجابية مثل "يتصرف أحمد معي كالرجال، ويفكر سعيد كالأبطال، ويتشاور عبد الله مع التلاميذ، في حين يجب البعد عن الأمثلة في مثل قولنا: ضرب المعلم أحمد ، كُسِرَ الزجاج، سُرِقت الحقيبة.. ومثل هذه الأمثلة التي يجب ألا يستشهد بها أمام التلاميذ كي لا تغرس في عقل التلميذ حتى يتجنبها ويكون بعيداً عنها.

4) **مشاركة التلاميذ في التخطيط لما يتعلمون:** مشاركة التلاميذ في رسم خطة ما يتعلم تجعله أكثر إيجابية وتعطيه ثقة بنفسه لتحمل المسؤولية وشعور بالاحترام ،ولا بد له حتى يكون فاعلاً أن يعرف الإجابة عن الأسئلة التالية:

- ماذا أتعلم؟
- لماذا أتعلم ؟
- كيف أتعلم ؟

5) **المعلم:** يلعب المعلم دوراً كبيراً في تنمية الثقة في نفوس تلاميذه ولعل تعامله اليومي مع تلاميذه هو الأساس وفي ذلك يقول جون لوك: " إن أعظم عمل للمربي هو أن يقوِّم السلوك وأن يشكل العقل، وأن يغرس في تلميذه العادات الطيبة، ومبادئ الفضيلة والحكمة، وأن يكوِّن في نفسه فكرة عن النوع الإنساني ويقوده إلى حب ما هو حميد وجدير بالثناء، وأن يعوده النشاط والحيوية والاجتهاد في أداء ما يعمل والتلميذ غالباً ما يكون صورة عن معلمه فإن كان المعلم متردداً كان التلميذ مثله، وإن كان المعلم لا يحسن التصرف في المواقف الحرجة أو المواقف التي تحتاج إلى قرار سريع فإن الطالب قد يكون مثله قال الشافعي رحمه الله موصياً مؤدب أولاد الخليفة الرشيد:"ليكن ما تبدأ به من إصلاح أولاد أمير المؤمنين إصلاح نفسك فان أعينهم معقودة بعينيك فالحسن عندهم ما تستحسنه، والقبيح عندهم ما تكرهه.

6) **طرائق التدريس:**هناك العديد من طرائق التدريس التي تقدم فيها المباحث الدراسية المختلفة تنمى الثقة بالنفس،وتحمل المسؤولية، وغرس الاحترام من أهمها الطرائق المتمركزة حول التلميذ كالتعليم القائم على الحوار – التعليم التعاوني ،التعليم الذاتي لعب الأدوار . .

7) **الأنشطة اللاصفية:** في مثل الحديث في الإذاعة المدرسية – الانخراط في مجموعات النشاط المدرسي كالنشاط الاجتماعي –الثقافي–الإلقاء – الرحلات . . .فهذه الأنشطة تزيد من ثقة التلميذ بنفسه وتعوده تحمل المسؤولية وتشعره بالاحترام .

8) **المطالعة في سير العظماء:** كدراسة صور من حياة الصحابة والتابعين بالوقوف على جوانب القوة في شخصياتهم، ومعرفة مواطن الإبداع لديهم كل ذلك يشحن في قلوب التلاميذ الثقة المفعمة والاقتداء بهذه الشخصيات

9) **تنظيم البيئة المدرسية:** لتنظيم البيئة المدرسية بداية من شكل بناء المدرسة، وتنظيم مدخلها والعبارات التي تكتب على الجدران ، واللوحات الجدارية والرسومات المنتشرة في أنحاء المدرسة يؤدي ذلك كله لمزيد من إشعار التلاميذ بالاحترام وبالتالي الثقة بأنفسهم،خاصة وأن مداخل الكثير من المدارس تعتبر معارض لأعمال التلاميذ مما يعمل على زيادة ثقتهم بأنفسهم. وذلك ما يؤكد أهمية تنظيم البيئة المدرسية ودورها في تعزيز الثقة بالنفس وتعويد الأبناء لتحمل المسؤولية وإشعارهم باحترام أعمالهم.

ومما يعزز الشعور بالمسؤولية لدى التلاميذ:

توزيع المهمات بين أعضاء الصف، والعمل على متابعة المهمات يشعر كلاً منهم بمسؤوليته ثم يأتي دور المعلم في تعزيز ثقتهم بأنفسهم إذ الثقة جزء لا يتجزأ من الشعور بالمسؤولية.

-الواجبات المنزلية والأنشطة الصفية التي يكلف بها التلاميذ إذ ليس المهم من هذه الأنشطة الوصول للنتيجة النهائية ؛ ولكن الأهم الوسائل المطروقة ، والجهد المبذول ، وتقدير هذا الجهد والمحاولة هو ما يتولد لدى التلاميذ من الثقة بالنفس وبالتالي الشعور بتحمل الأعمال ومسؤوليتها. أما إذا بحث المعلم عن النتيجة النهائية للسؤال المطلوب واستخدام كلمات التوبيخ إذا لم يوفق التلميذ في الحل فذلك يجعل الكثير من الأطفال يبحثون عن المحصلة المبتغاة من المعلم أو الأسرة بأية وسيلة متاحة حتى إن كانت عن طريق الغش أو التضليل مما يلجأ إليه بعض التلاميذ في بعض مدارسنا اليوم !؟

علاقة الشعور بتحمل المسؤولية بالابتكار:

عندما يشعر التلميذ بالمسؤولية تجاه المهمة الملقاة عليه في جو يسوده الود والاحترام سيسعى جاهداً ببذل قصارى جهده نحو الإتقان بل الإبداع في إنجاز المهمة نتيجة الرغبة والدافعية الداخلية لإنجاز المهمة.أما إذا استمرت تربية الطفل نحو التبعية وتقليص فرص المشاركة في اتخاذ القرار، وتوزيع المهمات فذلك مما يؤدي إلى قتل الإبداع لديهم وزيادة الخوف من الوقوع في الخطأ.وفي أنظمتنا التعليمية لابد لنا من: إتاحة الفرصة للتلاميذ؛ ليعالجوا فيها أية قضية يواجهونها بالتحليل الدقيق والنظر إلى جوانبها المتعددة ومن ثم اتخاذ

القرار ولابد من الخروج من إطار الأسئلة المقيدة التي لا تحتمل أكثر من إجابة ولا تتيح للعقل البشري أن يظهر تميزه واستقلاليته.

- لابد لنا من فهم أوسع لمفهوم النظام والانضباط فهو ليس مفهوماً يضعه فرد واحد يدعي أنه الأعلم، أو الأكبر، أو الأحق بالتشريع؛ ليتحمل هو وحده فيما بعد مسؤولية الحفاظ عليه. فذلك الفهم الواسع الذي نعد به التلميذ للحياة بتوليد الأفكار لديه دون تبعية لأحد!؟ ويصنع الهمة العالية فيه ليتحمل المسؤولية فيشعر بمسؤوليته تجاه دينه ووطنه ومجتمعه.

- لا بد من تحرير الاعتقاد الخاطئ بأن النظام يحتاج إلى ضبط وسيطرة فالنظام لا يكون إلا بتوزيع المهمات. فتنمية الشعور بالمسؤولية إذن عملية تربوية يحتاج إليها كل مربٍّ ؛ ليجعل من عقل التلميذ آلة قادرة على توليد الأفكار وبالتالي الإتقان والإبداع المنشود.

ومضات نبوية في كيفية غرس الشعور بالمسؤولية وروح الاحترام:

المنهج الإسلامي الحنيف في التربية والتعليم أجدر أن يقتدي به فلقد كان المصطفي – صلى الله عليه وسلم – يغرس روح الاحترام في نفوس أصحابه رضوان الله عليهم من خلال المنهج العلمي الذي لا يخلو من إشارات واضحة يتعلم منها الجميع، روى الإمام البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن يمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟ فقال الغلام: لا والله لا أؤثر بنصيبي منك أحداً فتله – أي وضعه- رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده) . كم من معاني احترام حقوق الأطفال في هذا الحديث الشريف مهما كانت ثقيلة على الكبار بل والأشياخ وكم يجني من ذلك المعلمون؟!

وروى البخاري عن أنس رضي الله قال: " أسر إليَّ النبي الله صلى الله عليه وسلم سراً فما أخبرت به أحداً بعده، ولقد سألتني أم سليم فما أخبرتها به) أليس في ذلك تربية على احترام العهود؟! أليس في ذلك تنمية لثقتهم بأنفسهم؟! أليس في ذلك تعزيز لمعنوياتهم؟! أليس في ذلك إثراء لعلاقاتهم بالمجتمع؟!

تعويد الأطفال تحمل المسؤولية:

يرى جميع المربين أن تنمية الشعور بالمسؤولية لدى الطفل ينبغي أن يكون الهدف الذي تسعى إليه كل الأمم، وذلك أن الإنسان اللاهي العابث لن يفيد أمته ولا نفسه بشيء ذي بال. وقد غرس الإسلام في نفوس أتباعه منذ فجر الدعوة الإحساس بمشاعر الأخوة والتزاماتها، ذلك أن الإحساس بالمسؤولية تجاه الآخرين لن يتكون إلا نتيجة تحمل المسؤولية فعلاً، أي عن طريق المشاركة مع الآخرين من أفراد الجماعة في دراسة ومواجهة المشكلات العامة التي تضمهم وتربط بينهم جميعاً، وهذا نموذج من توجيه النبوة يرشدنا إلى أسلوب بناء شخصية الناشئ ، قال تعالى في قصة إبراهيم –عليه السلام–:{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي المَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ}([1])

فلم يتعجل –عليه السلام– على ولده ليقضي أمر الله تعالى، وإنما شاوره لتكون الاستجابة عن رضا نفس. فاحترام شخصية الطفل وإشعاره بالثقة في نفسه خير معين له على تحمل المسؤولية والقدرة على حمل التبعات. ويمكن إجمال ما فصلناه في كفيفة تنمية الشعور بالمسئولية في النقاط التالية:

1)**مراقبة الله**: (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)([2]) قال تعالى:﴿ لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾([3])

2)**الإيمان بالجزاء**،﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾([4])

---

[1]) الصافات:102.

[2]) جزء من حديث جبريل الذي رواه مسلم.

[3]) البقرة:284.

[4]) الكهف:49.

obeikandl.com

3)**الثقة بالطريق**: أن يثق الإنسان بمنهاجه الذي يعتبر نفسه مسئولا عنه، أن يثق الإنسان بكتاب ربه، أن يثق كذلك بدينه؟ إن كان الإنسان يثق بإسلامه لابد أنه سيستشعر مسؤوليته عن دينه أكثر من هذا الوضع الذي هو عليه.

4)**التبصير بالمسؤوليات والتعريف بالتكاليف**: إن المرحلة الأولى من مراحل تحمل المسؤولية أن يعرف المرء ما يجب عليه؛ لأنه لا يمكنه القيام بما يجب عليه إذا جهله، وحتى التكاليف الشرعية لا بد من معرفتها ووضوحها ليسهل بعد ذلك على المكلف تطبيقها، ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: "كف عليك هذا: وأخذ بلسان نفسه، قال: فقلت يا نبي الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمك يا معاذ! وهل يَكُبُّ الناسَ في النار على وجوههم -أو على مناخرهم- إلا حصائدُ ألسنتهم".([1])

فمعاذ بن جبل رضي الله عنه مع أنه أعلم الأمة بالحلال والحرام، إلا أنه احتاج لبيان أن الكلمة مسؤولية.

5) **التحريض على تحمل المسؤوليات**، فإن التحريض يؤدي إلى علو الهمة ويرفع الإحباط ولذا فهو نهج تربوي قويم في تحمل المسؤوليات، وقد استخدمه أبو سفيان يوم أحد ليرفع من همة جنوده، وإن كان قد استعمله في باطل إلا أنه يبقى وسيلة نافعة، قال ابن إسحاق: "وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار: قد وليتم لواءنا يوم بدر فأصابنا ما قد رأيتم، وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم إذا زالت زالوا، فإما أن تكفونا لواءنا وإما أن تخلوا بيننا وبينه فنكفيكموه، فهموا به وتواعدوه وقالوا: نحن نسلم إليك لواءنا، ستعلم غدا إذا التقينا كيف نصنع؟ وذلك الذي أراد أبو سفيان".([2]) وقد استبسل حملة اللواء وكانت لكلمات أبي سفيان دورها في تحملهم ما أوكل إليهم.

6) **مواجهة الغزو الفكري وبيان تفوق الإسلام الحضاري**، وملائمة تعاليمه السمحة لفطرة الإنسان، وفضح الواقع المرير الذي يعيشه غير المسلمين من انحلال وتفكك، وهو ما يحاولون جهدهم جر المسلمين إلى مستنقعه.

---

[1]) صحيح الجامع برقم(2616)

[2]) البداية والنهاية: 15/4.ابن كثير.

7) **العناية ببرامج التزكية** التي تدفع إلى تحمل التكاليف الشرعية بانشراح صدر وقبول ورغبة وبيان الثواب الجزيل الذي ينتظر الملتزم القائم بمسؤولياته الشرعية في الدنيا والآخرة.

8) **المحاسبة والرقابة** لمن يتخلى عن مسؤولياته ويقصر فيما يجب عليه تجاه المجتمع والضرب على أيدي العابثين بالوظائف العامة.

9) **تقدير من يقومون بالمهام والمسؤوليات** والتنويه بدورهم وتقديم الجزاء الأوفى لهم الذي يستحقونه.

10) **تعويد الأطفال منذ الصغر تحمل المسؤولية** والقيام بمهامهم الصغيرة التي تتناسب مع أعمارهم وتبغيض الاتكالية إليهم فإنها داء خطير.

11) بث روح التفاؤل وإشاعة الأمل بانقضاء زمن الضعف الذي يعيشه المسلمون وبزوغ فجر الإسلام من جديد وأن المستقبل لهذا الدين وما علينا إلا أن نسعى لخير أمتنا بالقيام بمهامنا فيتحقق لنا النصر المنشود.

12) إبراز النماذج المعاصرة التي تخطت العقبات وقامت برغم العوائق بالمسؤوليات فسعدت ونجحت وصارت مثلا يحتذى وقدوة تؤتسى، فإن للأمثلة العملية تأثيرًا كبيرًا على النفوس.

13) ترسيخ مفهوم السعادة في القيام بالمهام والنهوض بالمسؤوليات ليقدم المقدم على المسؤولية إقدام المتشوق الذي يطلب فيها السعادة والراحة.

وأخيرًا:يجب التذكير بأن فوز الدنيا والآخرة مرتهن بالقيام بالمسؤوليات على الوجه الأكمل، وخسارة الدنيا والآخرة في التهرب من المسؤوليات، فمن شمر عن ساعد الجد أعانه الله ووفقه فكان من القائمين بما أوجب الله عليهم المفلحين في الدنيا والآخرة.

*** حالة صحية:**

التخلي عن المسؤولية أحيانا يكون حالة صحية متى ما كان للمسؤولية حظ من حظوظ النفس ووجد من يسد الحاجة ويقوم بالمهمة.

فقد رفض كثير من أهل العلم القضاء خوفا من تبعاته وإشفاقا من أمانته وتجنبا للوقوف بين يدي الله تعالى للسؤال عنه ولكن بعد علمهم أن هنالك من يكفيهم من المسلمين هذا الواجب فلو تعين لما صح أن يهرب المسلم منه أو يتخلى عنه.

ومثل هذا هربهم من الفتيا قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: "أدركت مائة وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله أحدهم المسألة فيردها هذا إلى هذا وهذا إلى هذا حتى ترجع إلى الأول ما منهم من أحد إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا".([1])

ولكن كل هذا إذا لم تتعين المسؤولية عليهم فإن السائل في زمانهم كان يجد من يجيبه وكان القضاء قائما كذلك ولا بد للناس ممن يجيبهم إذا سألوا ويحكم بينهم إذا اختصموا.

الفرع الثاني

علو الهمة

إن مما دعاني أن اختم هذا المطلب بهذه النقطة على الرغم من أنها في الظاهر بعيدة عن الموضوع إلا أنها بنظرة متفحصة هي صلب الموضوع بل هي عين الموضوع وكل موضوع وكم أتمنى أن لا يخلو عمل جاد بمبحث كامل عن علو الهمة ليبعث في النفس النشاط ويحثها على الفضل وتحمل المكاره وبالتالي الإجادة. إن علو الهمة من الخصال الجميلة، والخلال الحميدة، والأخلاق العالية الرفيعة، والناس إنما تعلو أقدارهم، وترتفع منازلهم بحسب علو هممهم وشريف مقاصدهم، وعلو أفضل شيء من وجه نظري يساعد على تنمية الشعور بالمسئولية لذلك سوف أتعرض إليه ولكن ليس بالتفصيل وإنما بما يناسب موضوعنا.

1. التعريف:

عرف ابن القيم علو الهمة بقوله:"علو الهمة ألا تقف -أي النفس- دون الله وألا تتعوض عنه بشيء سواه ولا ترضى بغيره بدلاً منه ولا تبيع حظها من الله وقربه والأنس به والفرح والسرور والابتهاج به بشيء من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهمة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور لا يرضى بمساقطهم ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم ، فإن الهمة كلما علت بعدت عن وصول الآفات إليها، وكلما نزلت قصدتها الآفات"([2]).

2. الحث على علو الهمة والتحذير من سقوطها:لقد حث سبحانه عباده على علو الهمة، والمسارعة إلى الخيرات، والتنافس في أعالي الدرجات، قال تعالى: {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ

[1]) بدائع الفوائد لابن القيم، 792/3.

[2]) مدارج السالكين 171/3 .

مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ}([1]) وقال تعالى: {وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}([2])

وقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه كما روى الطبراني في الكبير من حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما:((إنَّ الله تعالى: يحب معالي الأمور وأشرافها، ويكره سفسافها))،أي: الحقير الرديء منها. ([3])ويوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ليحث هممهم: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض"، قال: يقول عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله جنة عرضها السموات والأرض؟! قال: ((نعم)). قال: بخ بخ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما يحملك على قولك بخ بخ؟!)). قال: لا والله! يا رسول الله! إلا رجاءة أن أكون من أهلها، قال: ((فإنك من أهلها))، فَأخرج تمراتٍ من قرنه فجعل يأكل منهن، ثمّ قال: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتي هذه إنّها لحياة طويلة، قال: فرمى بما كان معه من التمر، ثمّ قاتلهم حتى قتل([4]).

قال عمر الفاروق رضي الله عنه: "لا تصغرنّ همتك فإني لم أر أقعد بالرجل من سقوط همته"([5]).

وقال المتنبي:

إذا غامرت في شرف مروم....فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في أمر حقير....كطعم الموت في أمر عظيم

وقال ابن القيم: "لا بد للسالك من همة تسيره وترقيه وعلم يبصره ويهديه"([6]).

كتب ابن الجوزي رحمه الله تعالى لابنه يحثه على طلب العلم لما رأى منه التواني فيه: "وقد عرفت بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمي، وإنما تقصر بعض الهمم في بعض الأوقات

---

[1]) آل عمران:133.

[2]) المطففين:26.

[3]) صحيح برقم 1890.

[4]) الرحيق المختوم.

[5]) محاضرات الأدباء 445/1 .

[6]) الدرر الكامنة 21/4.

فإذا حثثت سارت ومتى رأيت في نفسك عجزاً فسل المنعم أو كسلاً فالجأ إلى الموفق ، فلن تنال خيراً إلا بطاعته ، ولن يفوتك خير إلا بمعصيته"([1]).

قال محمد بن حسن في كتابه الهمة طريقك إلى القمة: "وترى اليوم من تفاوت الهمم أمراً عجباً... فإذا اطلع المرء على أحوال الخاصة من المسلمين وهم طلاب العلم والدعاة وباقي الملتزمين بشرع الله الحريصين عليه سيصاب بالدهشة لما يراه من فتور الهمم... فمنهم من إذا اطلع ساعة أو ساعتين في اليوم ظن أنه قد أتى بما لم يأت به الأوائل ومنهم من إذا خرج لزيارة فلان من الناس بقصد الدعوة يظن أنه قد قضى ما عليه من حق يومه، ومنهم من تتغلب عليه زوجه وعياله فيقطع عامة وقته في مرضاتهم، ومنهم من اقتصر في تحصيل العلم على سماع بعض الأشرطة، وحضور محاضرة أو اثنتين في الأسبوع أو الشهر، ومنهم من غلب عليه الركون إلى الدنيا والتمتع بمباحاتها تمتعاً يفضي به إلى نسينا المعاني العلية ، ومنهم من يقضي عامة وقته متشبعاً لقطات إخوانه ومطلعاً على ما يزيد علمه رسوخاً في هذا المجال ... ولا أزعم أن جمهور الصحوة قد فاتهم أن يكونوا ممن يجمع الشمل ويقصر الاعتذار والشكاية ويصبح نموذجاً يحتذي به، ولكن أقول جازماً بأنهم – إلا القليل – لم يستثمروا هممهم حق الاستثمار ، ولم يحاولوا أن يرتقوا بأنفسهم حق الارتقاء".([2])

والناس في طلب الهمة على منازل:

1 – منهم من يطلب المعالي بلسانه وليس له همة في الوصول إليها ويصدق عليه قول الشاعر:

وما نيل المطالب بالتمني ..... ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

2 – ومنهم من لا يطلب إلا سفاسف الأمور ودناياها ويجتهد في تحصيلها، وهذا –إن اهتدى– يكون سباقاً للخيرات: "خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا".([3])

3 – وفريق ساقط الهمة يهوى سفاسف الأمور ويقعد به العجز عنها، فهو من سقط المتاع وهو كمن وصف الشاعر:

إني رأيت من المكارم حسبكم.....أن تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

---

[1]) لفتة الكبد في نصيحة الولد ص 9دار القاسم .

[2]) الهمة طريق إلى القمة ص21، 22)محمد بن حسن.

[3]) صحيح الجامع للترمذي برقم(3267)من حديث أبي هريرة.

فإذا تذكرت المكارم يوما..... في مجلس أنتم به فتقنعوا([1])

4 – وأعلى الهمم همة من تسمو مطالبه إلى ما يحبه الله ورسوله فهنيئاً له.وإذا استعرضنا التاريخ نجد أن العلية من الناس والقادة الذين تركوا أثرهم في التاريخ هم أصحاب الهمم العالية.

نماذج و أمثلة نبيلة تحث على علو الهمة:

– ربيعة بن كعب الأسلمي الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سل" فقال: أسألك مرافقتك في الجنة...([2]).

– عكاشة بن محصن بادر فقال: "ادع الله أن يجعلني منهم...".([3])

– أبو بكر الذي قال: "ما على من دعي من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعي أحد من تلك الأبواب كلها ، قال نعم وأرجوا أن يكون منهم ...".([4])

– أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم له: "ألا تسألن من هذه الغنائم التي يسألني أصحابك؟ فقلت: أسألك أن تعلمني مما علمك الله فنزع نَمِرَةً كانت على ظهري فبسطها بيني وبينه حتى كأني أنظر إلى نمل يدب عليها فحدثني حتى إذا استوعب حديثه قال اجمعها فصرها إليك فأصبحت لا أسقط حرفاً مما حدثني"([5]).

– كان الإمام البخاري يقوم في الليلة الواحدة ما يقارب عشرين مرة، لتدوين حديث أو فكرة.

– وقال ابن الجوزي: طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين، حتى جمع المسند وفيه ثلاثون ألف حديث، وقال أيضاً: ولو أني قلت: طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب، فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم، وقدر هممهم وحفظهم

[1])محاضرات الأدباء 447/1 .

[2]) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة ، باب فضل السجود والحث عليه .

[3]) متفق عليه.

[4]) متفق عليه مشكاة المصابيح برقم(1890)

[5]) الحلية لأبي نعيم 381/1 .

وعباداتهم، وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع، فصرت أستزري ما الناس فيه، وأحتقر همم الطلاب ولله الحمد([1]). ا هـ.

وقال الإمام ابن عقيل الحنبلي: إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح"([2]).

وكان النووي يقرأ كل يوم اثني عشر درساً شرحاً وتصحيحاً، ويقول لتلميذه بارك الله في وقتي([3]).

وذلك الشيخ: علال الفاسي يقول: أبعد بلوغي خمس عشرة ألعب.....وألهو مع اللاهين حولي وأطرب

ولي نظر عالٍ ونفس أبية .....مقاماً على هَامِ المِجَرَّةِ تَطْلُبُ

يقول ابن القيم: "... ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية فإذا هو يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد وفي ثبت كتب أبي حنيفة وكتب الحميدي و... فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعبادتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع فصرت أستزري ما الناس فيه وأحتقر همم الطلاب ولله الحمد"([4]).

وقال محمد بن علي الأسلمي: قمت ليلة سَحراً لآخذ النوبة على ابن الأَخْرَمِ فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً ولم تدركني النوبة إلى العصر([5]).

وقال محمود بن عمر الزمخشرى:

سهري لنتقيح العلوم ألذ لي.....من وصل غانية وطيب عناق

وتمايلي طرباً لحل عويصة..... أشهى وأحلى من مدامة ساقي

وصرير أقلامي على أوراقها.....أحلى من الدوكاة والعشاق

وألذ من نقر الفتاة لدفها.....نقرى لألقى الرمل عن أوراقى

---

[1]) صيد الخاطر، ص402.

[2]) الوقت هو الحياة لعبد الستار نوير(176)

[3]) انظر تذكرة الحفاظ(147/4)

[4]) قيمة الزمن عند العلماء للشيخ عبد الفتاح أبو غدة ص31.

[5]) نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء لمحمد بن الحسن موسى ص 1145/2.

يا من يحاول بالأماني رتبتي.....كم بين مستفل وآخر من راقي
أأبيت سهران الدجى وتبيته.....نوماً وتبغى بعد ذاك لحاقي

ثمرات الهمة العالية:

1) تحقيق كثير من الأمور التي يعدها عامة الناس خيالاً يتحقق ومن أمثلة ذلك بناء أمة مؤمنة في الجزيرة العربية التي يشيع فيها الجهل والشرك وذلك في فترة وجيزة، وابن ياسين استطاع أن يقود بعصابة قليلة من أصحابه المربِّين دولة انتصرت على جيوش الأسبان بعد استشهاده ، والإمام حسن ألبنا نادي في أمته الميتة بأمور اعتبرت من الخيالات وهو القائل: "أحلام الأمس حقائق اليوم وأحلام اليوم حقائق الغد"([1]).

2) البعد عن سفاسف الأمور ودناياها:لما فرَّ عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس من العباسيين أهديت إليه جارية جميلة فنظر إليها وقال: "إن هذه من القلب والعين بمكان وإن أنا اشتغلت عنها بهمتي فيما أطلبه ظلمتها، وإن اشتغلت بها عن ما أطلبه ظلمت همتي ، ولا حاجة لي بها الآن وردها على صاحبها"([2]).

3) صاحب الهمة العالية يعتمد عليه بعد الله وتسند إليه الأمور العظام:وهذا أمر مشاهد معروف فإن المديرين والرؤساء عادة يطمحون للعمل مع صاحب الهمة العالية ويستعدون للتضحية معه حتى ولو كلفهم ذلك الكثير. وقد قيل: "ذو الهمة وإن حط نفسه تأبى إلا العلو، كالشعلة من النار يخفيها صاحبها وتأبى إلا ارتفاعاً"([3]).

4) صاحب الهمة العالية قدوة للناس .

5) تغيير طريقة حياة الشعوب والأفراد:يقول الشيخ محمد الخضر حسين: "يسموا هذا الخلق بصاحبه إلى النهايات من معالي الأمور فهو الذي ينهض بالضعيف فإذا هو عزيز كريم، ويرفع القوم من السقوط ويبدلهم بالخمول نباهة وبالاضطهاد حرية وبالطاعة العمياء شجاعة أدبية... أما صغير الهمة فإنه ييصر بخصومه في قوة وسطوة فيذوب أمامهم رهبة، ويطرق إليهم رأسه حطة ثم لايلبث أن يسير في ركبهم ويسابق إلى حيث تحط أهواؤهم"([4]).

---

[1]) انظر مجموعة رسائله .

[2]) نفح الطيب 43/4 .

[3]) محاضرات الأدباء 445/1 .

[4])رسائل الإصلاح 88/2.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات، وتُسرج بنور علمه الظلمات، الحمد لله الذي هدانا بنوره، وفتح علينا من بركات رحمته؛ فيسّر لنا تمام هذا البحث وكتابته، وأسبغ علينا من نعمه ظاهرة وباطنة، فها نحن أولاء نسطر كلماته الأخيرة، ونخلص منه بعد البيان بالنتيجة، فهذا أوان نظم ما انتشر في بيِّنات من الدُرر، وطيبات من الثمر مما خلص إليه الباحث بعد طول السفر بين الكتب والنصائح والفِكَر، وبعد هذا التطواف بين الفصول، والمباحث، والمطالب، والنقاط أجدني في نهاية المطاف قد اهتديت إلى اللب بعد نزع القشرات وهذا اللب هو الذي من أجله كتبت هذه الورقات ألا وهو:

أن الشعور بالمسئولية ثمرة لتصور الإنسان عن دوره في الحياة، والتعامل مع سنن الله في النفس والمجتمع، والتوازن بين المطالبة بالحقوق والقيام بالواجبات... وكما طالعنا في صفحات البحث فإن المسئولية عامة والمجتمعية خاصة هي سر العمران وعنوان النجاح والفلاح، والسمو والارتقاء، فلا تسمو أمة ويرتفع شأنها بإذن الله في حياتها إلا بعد الأخذ بالأسباب وتحمل المسئوليات الجسام لأن الله قد سن قانونا لم يستثنى منه مؤمنا، ولا كافرا وهو أنه سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا وقد نكر سبحانه وتعالى العمل ليدل على كل عمل صالح فيه صلاح الأمة والمجتمع ويا ليته يكون على منهاج رب العالمين الذي وضع هذا القانون في الأرض والذي اخذ به يا للحسرة غير المسلم فأقام به أمر حياته وتخاذل عنه المسلم فتسول قوت يومه، إن الإسلام هو صانع الرجال ولا يكون هناك رجل ولا امرأة ومن بعدهما النبتة التي رعوها أعني بها الأطفال إلا إذا قام الجميع بمسئولياته على الوجه الأكمل سواء أكانت هذه المسئولية فردية أو جماعية وبكل على مختلف أنواعه وأشكاله.

وهذا ما حرصت عليه خلال صفحات البحث حيث حرصت على تقسيم المسؤوليات بعد تعريفها وذلك بعد بيان نوعيتها من حيث المكلف هل هو فرد، أو جماعة وبينت مسؤوليات الفرد ومسؤوليات الجماعة ومدى النفع الذي يعم الجميع إذا قام كل من هو مسئول بما هو موكل إليه على الوجه الأكمل، ثم بينت في المقابل أن ضعف الشعور بالمسئولية وتحملها على الوجه الأكمل له أسباب ناشئة عن خلل في التربية الأسرية والمجتمعية...ثم بينت مظاهر ضعف الشعور بالمسؤولية وهي كثيرة في حياة الفرد الشخصية

وحياته الأسرية، بل في تعامله مع العالم من حوله، لاسيما إذا تبوّأ موقعاً مرموقاً أو كان في الصدراة، فإن خطورة هذا الضعف تزداد سوءاً بازدياد أهمية الموقع الذي يشغله الإنسان.

يقول الشاعر محرّضاً من كان ضعيف المسؤولية:

قد رشّحوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ له.....فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَل

ويقول آخر مبيّناً بلوغ الشعور بالمسؤولية حداً عالياً في قومه:

لو كان في الألف منا واحد فدَعَوا..... مَن فارسٌ؟ خاله إياه يعنونا

وإذا كان ضعف الشعور بالمسؤولية داءً يبتلى به أناس في شرائح عمرية واجتماعية مختلفة، ويظهر أثر هذا الداء في سلوكيات هؤلاء الناس في مواقف حياتية مختلفة كذلك، فإننا يمكن أن نقف بشيء من التفصيل والتحليل عند هذا الداء في البيئة الأسرية، عندما يكبر الولد ولا يكبر معه الشعور بالمسؤولية

وهنا لابد أن يتبادر إلى الذهن هذا السؤال: هل لضعف الشعور بالمسؤولية من علاج؟!

في معظم ظواهر الخلل الاجتماعي، يحمل تشخيص المشكلة مفاتيح الحل والعلاج، فكل سبب أدى إلى ظهور المشكلة فإن علاجه علاج لها.

oberkandl.com

النتائج

ركز البحث على إعادة اكتشاف موضوع متأصل في الشريعة الإسلامية، ألا و هو مفهوم المسؤولية المجتمعية، والهدف هو التأصيل الشرعي والعلمي في آن واحد لهذا المفهوم من منطلق إسلامي، وقد خرجت الدراسة في موضوع من أخطر موضوعات العصر، وأكثرها أهمية بجملة من الأمور ومن خلال ما سبق في البحث، خلصنا إلى النتائج التالية:

1. حث التشريع الإسلامي على أداء المسؤولية المجتمعية ونظم كيفية هذا الأداء من خلال أساليب محددة بدقة مثل: فقه الزكاة وفقه الوقف والحقوق الواجبة للعمال والإحسان والسماحة مع العملاء والصدقات و غيرها.
2. مبادئ المسؤولية الاجتماعية متأصلة في الإسلام من خلال آيات قرآنية و أحاديث شريفة وقواعد فقهية، وليست مستحدثة كما في الأنظمة الوضعية.
3. أداء المسؤولية الاجتماعية في الإسلام واجب ديني وفضيلة إسلامية سبق الإسلام بها الأفكار والنظم المعاصرة، وواجب المسلمين أداء هذه المسؤولية استجابة لأمر الله عز وجل ولأمر رسوله صلى الله عليه وسلم قبل أن يكون تقليدا أو تنفيذا لاتفاق عالمي أو دعوات من نظم مستوردة.
4. أداء المسؤولية الاجتماعية واجب على المسلم لصحة العقيدة، ولا يهدف المسلم من ورائها إلى أي مكسب مادي، إنما رضا الله هو غايته الأولى و الأخيرة.
5. المسؤولية الاجتماعية في الإسلام تتعدى العمل الخيري والتطوعي أو الهبات المالية إلى بناء المساجد والمراكز التعليمية والصحة وكفالة الأيتام والأرامل ورعاية المسنين، والحفاظ على حقوق الأجراء، وكذا حماية الموارد الطبيعية والحفاظ على البيئة من مختلف أشكال الفساد، والمشاركة في التنمية الاجتماعية والاقتصادية.
6. تتميز المسؤولية الاجتماعية في الإسلام بنظرة شمولية، فهي لا تركز على النواحي المادية فقط كما هو الحال بالنسبة للأنظمة المادية الوضعية، إنما تشمل سائر المناحي الأدبية و الروحية من حب و تعاطف و أمر بالمعروف و نهي عن المنكر.

obeikandl.com

7. بيان خطورة التقصير في القيام بالمسئوليات وعلى رأسها المسئولية المجتمعية والتنبيه، بين الحين والآخر، إلى تقصيره وما يترتب على ذلك التقصير.{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}([1])

8. أن من أهم العوامل المشجعة على القيام بالمسئولية على الوجه الأكمل قرأة سير أصحاب الهمم العالية من الرسل الكرام، ومن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان، لنرى كيف بذلوا في هداية أقوامهم وفي رياضة نفوسهم، وفي طلب الحديث النبوي ونشر العلم، وفي الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدّي لأهل البدع والضلال...

فقلد ثبت بالأدلة القطعية أن الحضارة التي جاء بها الدين الحق قد نهضت على أكتاف الخانعين والكسالى؟! كلا بل قامت على أمثال أبي بكر، وعمر،وعثمان،وعلي، وخالد والقعقاع، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن الغافقي، وأبي حنيفة، ومالك بن أنس،والشافعي، والبخاري، ومسلم، والقرطبي، وابن كثير، والنووي، والعز بن عبد السلام، وصلاح الدين، والشيخ عبد الحليم محمود والشيخ الشعرواي والقائمة يعجز الإنسان عن حصرها، رحم الله الجميع..{وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ }([2])

[1]) الذاريات: 55.

[2]) العنكبوت:69.

obeikandl.com

التوصيات

كما أشرت في البداية أن هذا الموضوع هو روح الحياة وسر التقدم، لذلك عملت الكثير من الدول على تنميته حديثا من خلال برامج التنمية البشرية.

وحتى تتم الفائدة نعرض مجموعة من التوصيات للمضي قدما في إثراء هذا الموضوع:

1) الاهتمام بالنشء وتربيتهم على تحمل المسئولية.

2) إسناد بعض المهام إلى أطفالنا منذ الصغر بحيث تتناسب مع مراحلهم العمرية مع التدرج حسب السن حتى يتعودوا على تحمل المسئولية بالتجربة مع مراقبتهم.

3) تدريس موضوع عن تنمية الشعور بالمسئولية ضمن المناهج التعليمية في المرحلة الابتدائية في جميع الدول الإسلامية عامة والعربية خاصة.

4) حث الشباب على التأسي بأصحاب الهمم العالية من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

5) إشباع أفكارهم بأن عزة الإسلام وعزة النفس تكمن في تحمل المسئولية والقيام بها على أكمل وجه بما لا يخالف شرع الله ولنا في رسول الله الأسوة الحسنة.

6) ربط برامج التنمية البشرية بتعاليم الإسلام الحنيف وكثرة الاستشهاد بالآيات والأحاديث والقصص الإسلامي سواء من القرآن، أو من السنة النبوية أو سير الصحابة الكرام عليهم رضوان الله.

7) دعوة المفكرين في الاقتصاد الإسلامي والإدارة الإسلامية إلى البحث والدراسة في هذا المفهوم من أجل تطويره والإعلام عنه وتعريف رجال الأعمال المسلمين بمبادئه وخصائصه.

8) دعوة الفقهاء إلى التأصيل الشرعي لهذا المفهوم، من أجل أن ينال الاهتمام الذي يستحق من طرف المسلم.

9) دعوة رجال الأعمال المسلمين إلى ضرورة المشاركة في البرامج الاجتماعية بروح إسلامية و طرح هذا الموضوع بإلحاح على الساحة الاقتصادية والاجتماعية العالمية من اجل تعميق النظرة الإسلامية و تفعيلها في واقع العمل الاجتماعي للشركات.

10) يجب أن تعتبر منظمات الأعمال في المجتمعات الإسلامية أن دافع قيامها بالمسؤولية الاجتماعية ليس لمجرد الاستجابة للضغوطات من المجتمع و من المنظمات غير

الحكومية، إنما هو واجب ديني متأصل في الشريعة الإسلامية، و هي مطالبة بأدائه رغبة في رضا الله عز و جل.

11) الارتكاز على أساليب التكافل الاجتماعي وأخلاقيات العمل التجاري التي وردت في التشريع الإسلامي لأداء المسؤوليات الاجتماعية تجاه مختلف أصحاب المصالح.

12) تصحيح المفاهيم الخاطئة لدى الإنسان الذي لا يملك الشعور العالي بالمسؤولية، ليعرف أن الله تعالى لم يخلقه عبثاً بل خلقه ليختبره، وأمره بالكدّ والعمل والبذل والعطاء:{وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}([1])

13) مصاحبة أصحاب الهمم العالية الذين يحسون بعظم المسؤولية الملقاة على عواتقهم تجاه ربهم، وتجاه أنفسهم وأهليهم وأمتهم... إذ ليس من شيء يؤثّر في تربية النفوس وصقلها وتوجيهها مثل صحبة أهل الصلاح والخير والفضل... وحين يصاحب الإنسان من يطلب المعالي، ويبذل الجهود العالية في بلوغ الكمال في أي جانب من جوانب الحياة... لا شك أنه يسري في روح الإنسان من روحه شيء كثير. ومن هنا جاءت النصوص الشرعية تدعو إلى مصاحبة هؤلاء.{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَكُونُواْ مَعَ الصَّادِقِينَ }([2])

14) وأخيرا حث الجميع على مراقبة الله لهم في السر والعلن حتى يحسنوا القيام بما يوكل إليهم من أعمال لنساهم جميعا في رفعة ديننا الحنيف وعزة أمتنا.

---

[1]) التوبة: 105.

[2]) التوبة:119.